جمع مفردات اللغة الدارجة ودراستها بين التأييد والرفض

د. منصور سعيد أحمد أبوراس

أستاذ اللغويات المشارك بقسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الباحة

الملخص:

تقوم هذه الدراسة على البحث في أهمية جمع مفردات اللغة الدارجة ودراستها ؛ فعلى الرغم من تعدد الأسماء للغة الدارجة، وتعدد المواقف منها إلا أنها شبه معطلة عن البحث العلمي والدراسات اللغوية؛ التي تنقب عن كنوزها، وتوظفها لخدمة اللغة العربية الفصحى، وتقوم الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج التاريخي متناولة موقف الدراسين وعلماء اللغة قديما وحديثا من اللغة الدارجة ، وتهدف إلى التحقق من أسباب انصراف الدارسين عن البحث في اللغات الدارجة والعمل على جمع مفرداتها، ثم تحليل تلك المعوقات وبيان دقتها من انحرافها، وصحتها من خطئها، ثم تعرض للنتائج ومن أبرزه ما توصل إليه البحث: المصطلحات المختلفة للغة الدارجة جميعها أسماء لمسمى واحد، والخطر الحقيقي على القرآن الكريم وعلى الدين يكمن في تجاهل اللغة الدارجة، وجمع مفردات اللغة الدارجة تعم فائدته على الجوانب اللغوية والمعجم العربي، والعلوم الاجتماعية المختلفة، ولا يعذر من يتبنى رأي الامتناع عن جمع مفردات اللغة الدارجة في هذا العصر، والمحاولات السابقة لجمع مفردات اللغة الدارجة غير كافية في هذا المجال، ثم انتهى البحث إلى عدد من التوصيات ؛ أبرزها: يجب توجيه البحث اللغوي إلى اللغة الدارجة ؛ لأنها مستوى رئيس في لغتنا العربية، اللغة الدارجة هي رافد مهم ينبغي ألا يهمل بحجة الاكتفاء بما جمع في عصور الاحتجاج، وجمع مفردات اللغة الدارجة اليوم ضرورة ملحة يفرضها الواجب العلمي ،وتؤيدها الأدوات المتاحة، هناك محاولات رائدة يجب دعمها وتبنيها من الجهات العلمية والبحثية المؤسسية.

الكلمات المفتاحية: اللغة الدارجة؛ اللغة العامية؛ المفردات، المعجم؛ الاحتجاج.

Collecting and Studying Arabic Vernacular Vocabulary: Support and Rejection

Dr. Mansour Saeed Ahmed Abu ras

Associate Professor of Linguistics, Department of the Arabic language

Faculty of Arts and Humanities at Al-Baha University

Abstract:

This study is based on the importance of collecting and studying Arabic Vernacular Vocabulary. Although vernacular Arabic has multiple names and multiple attitudes towards it, it is almost given no research and no linguistic studies that can search for it treasures and employ them to serve Classical Arabic. This study uses the descriptive approach and the historical approach to deal with the attitudes of scholars and linguists in both the past and present. It aims at studying why scholars abandon studying Vernacular languages and collecting their vocabulary. Afterwards, it analyses the obstacles and whether these obstacles are real or unreal, accurate or inaccurate, The study reaches findings most important of which are: The different terms of the vernacular language refer to just one term, Ignoring the study of vernacular language puts the Holy Quran and religion at risk, Collecting vernacular language vocabulary benefits Linguistics, Dictionaries and Social Sciences, There is no excuse for those who support abandoning collecting vernacular language vocabulary at the present time, The efforts exerted in collecting vernacular language vocabulary in the past are not enough, The study reaches a number of recommendations most notable among them are: More research should be given to vernacular language as it represents a major level in Arabic, vernacular language is a rich source that should not be neglected because of the claim that what was collected during the Verification Era is enough, Collecting Arabic vernacular vocabulary has become a must imposed by scientific commitment and supported by available tools, There are pioneering attempts that should be adopted and supported by scientific and research institutions.

Keywords: Vernacular Language, Colloquial Language, Vocabulary, Dictionaries, Verification.

مقدمة:

تناول العلماء قديما وحديثا جمع اللغة التي يتحدث بها الناس المعاصرون فبين رافض ومؤيد؛ وكما يوثق المؤرخون الأحداث الكائنة في عصر ما، ويسجل علماء الطبيعة بكل دقة كل ما يمر بهم وتصل إليه أيديهم فيجب على كل هؤلاء – يتقدمهم علماء اللغة – أن يدونوا اللغة الدارجة إذ هي الوسيلة لدراسة الفكر الإنساني في أي زمن من الأزمان، بل هي وسيلة لدراسة ما قبله وما بعده تاريخيا فالمعرفة الإنسانية تراكمية متنامية وإذا اختفت حقبة منها شاب الدراسات اللاحقة الغموض والنقص.

أهمية الموضوع ودوافع اختياره:

تستمد الدراسة أهميتها من جهتين رئيستين هما:

اللغة: وهي الملكة التي تميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، وهي الملكة التي تفاضل بها الناس فيما بينهم من حيث: مستوياتها وعلومها، وأسرها وفروعها.

ومما تنقله اللغة من إرث ثقافي وحضارة إنسانية، فكما أن اللغة هي وسيلة للتوثيق ونقل المعرفة، فهي أيضا مرآة نرى فيها كثيرا من المؤشرات إلى جوانب مختلفة من الحياة البشرية.

مشكلة البحث:

يهتم العلماء بجمع مفردات اللغة التي كانت قبل عصر الاحتجاج الذي حدد عند كثير من الدارسين بوفاة الشاعر ابن هرمة الذي اختلف – أيضا – في سنة وفاته، حيث عاش في العصرين الأموي والعباسي، وقيل إنه توفي سنة ١٥٠ [(١)]، وقيل سنة ١٦٩ [(٢)]، وقيل غير ذلك، ويوردون شعره للاحتجاج والاستشهاد به على قواعد النحو كغيره من الشعراء مع تقسيم في ذلك على أربع طبقات سيأتي ذكرها، وكل ذلك حسن، ويحقق الهدف الذي من أجله أنفق العلماء أعمارهم وجمعوا اللغة وقَعّدوا لها حفظا للغة القرآن الكريم، ولكن المعضلة التي أراها تكمن في النهي عن رواية الشعر الحديث وتوثيق اللغة التي يتحدث بها الناس المعاصرون منذ تلك الأيام إلى يومنا هذا؛ وإذا جمعت لغة الناس في زمن الأزمان ورأيت العلماء منحوها شيئا من وقتهم فيكون ذلك تحت عناوين فيها شيء من الانتقاص كقولهم: لحن العوام، وما تلحن فيه العامة، وأخطاء العوام... وغيرها من العناوين التي توحي بالنقص وتنذر بالنفور...

وقد كان النهي عن جمع اللغة الدارجة، ورواية الأشعار الحديثة التي تكتب بها هو الأبرز عند علماء اللغة في كل عصر؛ خشية الاختلاط بالفصيح أو خشية التأثير على القرآن الكريم؛ مما فقد معه جزء كبير من تراث إنساني ثري بالتجارب، والخبرات، والمعارف، والعلوم.

---

(١) فوات الوفيات، محمد بن شاكر، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط١، ١/ ٣٥

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي – القاهرة، ط١، ١/ ٤١٥

أسباب اختيار الموضوع:

وقد رأيت الكتابة في هذا الموضوع لأسباب عدة أهمها:

أهمية اللغة الدارجة في دراسة تطور مفردات اللغة.

أهمية اللغة الدارجة في دراسة تطور القواعد اللغوية والنظريات اللغوية المختلفة.

عزوف الدارسين عن جمع مفردات اللغة الدارجة بدعاوى عدة، سنأتي عليها في ثنايا البحث بإذن الله.

أهمية اللغة الدارجة في الدراسات الإنسانية الأخرى كعلم الاجتماع والدراسات النفسية والدراسات التاريخية والسياسية...ألخ

توافر الأدوات والوسائل المتطورة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ البشري في هذا العصر.

وجود تجارب حديثة لجمع مفردات اللغة وتوثيقها في اللغة العربية الدارجة تستحق البحث والدراسة.

فروض الدِّراسة:

تنطلق الدراسة التي بين أيدينا من الفروض التالية وتعالجها وفق معايير وأخلاقيات البحث العلمي:

- جمع مفردات اللغة الدارجة مفيد ومثرٍ للبحث العلمي.
- المحاولات التي قامت في هذا الشأن غير كافية.
- جمع مفردات اللغة الدارجة اليوم ضرورة ملحة.
- جمع مفردات اللغة الدراجة اليوم لا داعي له.
- جمع مفردات اللغة الدارجة اليوم مضر بالقواعد اللغوية.

منهج الدراسة:

دراسة وصفية حيث اعتمدت المنهج الوصفي الذي لا يستطيع باحث الاستغناء عنه في تناول الظواهر اللغوية بالدراسة والشرح والتفسير والتحليل؛ كما تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي في دراسة تسلسل الأبحاث والدراسات عبر المراحل التاريخية المختلفة.

وقد رتبت مبنى هذا البحث ليستوي في مقدمة، وتشتمل على:

أهمية الموضوع ودوافع اختياره.

مشكلة البحث.

أسباب اختيار الموضوع.

فروض الدِّراسة.

منهج الدراسة.

ثم ثلاثة مباحث وتسعة مطالب انتظمت كما يلي:

المبحث الأول: اللغة الدارجة:

المطلب الأول: تعريفها، ومرادفاتها، وتتبع المصطلح.

المطلب الثاني: اللغة الدارجة في اللغات الأخرى

المطلب الثالث: مصادر دراسة اللغة الدارجة.

المبحث الثاني: أهمية جمع مفردات اللغة الدارجة

المطلب الأول: معنى الجمع.

المطلب الثاني: أهميته

المطلب الثالث: المحاولات والجهود السابقة في جمع مفردات اللغة الدارجة.

المبحث الثالث: موقف من يرفض جمع مفردات اللغة الدارجة وتوثيقها.

المطلب الأول: تاريخه

المطلب الثاني: هل اللغة الدارجة خطيرة على القرآن الكريم؟

المطلب الثالث: أين وصل بنا هذا الموقف.

ثم أختم بالتوصيات والنتائج من البحث، وبالله التوفيق..

تمهيد: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صفيه الأمين، وبعد:

إنّ مما دعى أهل اللغة إلى ابتداع علم النحو ووضع قواعده وأبوابه وفصوله هو ماشاع على ألسنة الناس من اللحن الذي خافوا منه على لغة القرآن الكريم، وإن الجملة التي بنيت عليها القصة المشهورة عن أبي الأسود الدؤلي والتي ختمت بالعبارة المشهورة: "انحُ هذا النحو" تلك الجملة التي وقعت على سمع ظالم بن عمرو وقعا شديدا، وأيا كانت الجملة السابقة لهذه القصة: أهي مات أبونا وترك لنا بنون، أم: ما أجملُ السماء! فإن هناك من الشواهد ما يعجز المقام عن ذكره تشهد على أن هذا العلم إنما نشأ للحفاظ على القرآن الكريم من اللحن؛ فقد كان الصحابة ومن بعدهم يخشون على العربية خشيتهم على الدين، وقد انطلق علماء اللغة في العصور المتقدمة إلى البوادي ومواطن الأعراب القحّ لجمع اللغة صافية نقية من أهلها الذين لم يتاخموا الأعاجم ولم يرتادوا الحوانيت، وفق ضوابط دقيقة ارتجلوها آنذاك لأن منطلقهم كان الهروب من اللحن فلا يمكن أن يفروا منه إليه، وهذه الدراسات والجهود العظيمة التي قامت آنذاك هي النواة التي قعدت عليها قواعد العربية وبنيت عليها أصول النحو وأبوابه وفصوله، ولم يكونوا في ذلك الحين يبحثون عن أي علم آخر في ثنايا جمعهم إذ الدافع والهدف واحد لا ثاني له، ولكننا فيما بعد نرى بأنّ هناك الكثير من التنازلات التي قدمت تحت ضغوط مختلفة فتارة تجد شواهد نحوية لا

قائل لها تتخذ من أمهات كتب النحو مقرا لها، وتارة تجد استشهادا بشعر أحد المولدين؛ بل إن بعض العلماء كان يراقب جودة الشعر ليحدد متى يحسن الاستشهاد به وإدخاله في زمرة المادة اللازمة لبناء القواعد النحوية على غراره حتى قال: "لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته"، وقد يستشهد بشعر شاعر مولد تحت الخوف من سياط هجائه، وهذا كله في النحو البصري الذي هو عماد النحو وأصل مدارسه، وأما النحو الكوفي فقد اتسع في ذلك أيما اتساع حتى وضعت القاعدة على بيت واحد بل على شطر من بيت، ومنهم من ربط صحة الاحتجاج بصحة نظرية توقيف اللغة، وأما إن كانت مواضعة فلا صحة لتحديد الاحتجاج بزمان ولا مكان إطلاقا، وسنأتي على ذلك [١]، ولكن مناط الحديث الآن عن جمع اللغة عموما؛ فاللغة ظاهرة اجتماعية تحمل تفاصيل عديدة ومتشعبة، وليست محصورة في قواعد النحو أو ما قعّد به للنحو، فهي ذات جوانب لغوية واجتماعية وتاريخية وجغرافية، وهي وسيلة لدراسة الفكر الإنساني في مجالاته المختلفة ومستوياته المتعددة.

ولقد كان لانصراف العلماء وتحذيرهم من رواية اللغات الدارجة أثر بين على ضياع الكثير من مظاهر الحياة في العصور المختلفة عدا ما جاء من دراسات هنا وهناك لتصحيح ما يقع فيه العوام، وهي دراسات مثرية نقلت لنا صورا مختلفة من الفكر الإنساني آنذاك، ولكنها لا تصمد عند الدراسات العلمية للهجات وتطورها عبر الحقب الزمنية المتتالية فنجد فراغات واسعة يصعب على الباحث أن يتنبأ بما كان فيها.

ولكيلا نقف على عتبة المحاسبة مع الأجيال القادمة فقد يكون من المناسب الآن أن نتناول اللغة الدارجة بالبحث والدراسة والتوثيق، وعليه فقد رأيت أن يكون بحثي هذا تحت عنوان: **جمع مفردات اللغة الدارجة ودراستها، بين التأييد والرفض**، وبالله التوفيق.

المبحث الأول: اللغة الدارجة:

المطلب الأول: تعريفها، ومرادفاتها، وتتبع المصطلح.

اللغة الدارجة هي اللغة التي تنتشر بين أوساط الناس فيتحدث بها العوام والخواص والصغير والكبير للتعبير عن حاجاتهم دون قيد أو شرط، وتتمتع بصفة التفاهم المشترك في شتى الطبقات الاجتماعية [٢]، وليس هناك لغة بمستوى واحد فقط؛ فالمجتمع اللغوي يتصف بالثنائية اللغوية وهي وجود لغة فصيحة ولغة دارجة.[٣]

(١) ص ١٣

(٢) أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٨، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ١٩٥

(٣) الفصحى والعامية وعلاقتهما في استعمالات الناطقين الجزائريين (رسالة ماجستير)، سهام مادن، كنوز الحكمة، الجزائر، ٢٠١١، ٣٢

وباستعراضٍ لمعنى كلمة العامية في اللغة نعلم أننا نتحدث بهذا المصطلح عن مستوى اللغة الأدنى؛ حيث يعرف العام ابن فارس في المقاييس "عمّنا هذا الأمر يعُمنا عموما، إذا أصاب القوم أجمعين، والعامة ضد الخاصة، يقال فلان ذو عُمية: أي أنه يعم بنصره أصحابه لا يُخصَ، ويقال: عمَّم اللبنُ:أرغى". (١)

جاءت كلمة العامية في معجم العين للخليل "العُميةُ: الضَّلالة، وفي لغة عمية، والاعتماءُ: الاختيار، والمعامي: الأرض المجهولة (٢).

ويشير إلى ذلك الفيومي بقوله "عمِيَ: فقد بصره فهو أعمى، وعمي الخبر: خفي، والمرأة عمياءُ والجمع (عُمْي)، والعمى للقلب، أي عدم الاهتداء، فهو (عمٍ) وأعمى القلب" (٣)

بل استمع للطناحي حين يعرف اللغة العامية بقوله: "هي التي يمارسها الحرفيون والصناع والباعة، ونلجأ إليها نحن المثقفين أحيانا حين نتعامل مع هذه الفئات، وهذه اللغة ينبغي أن تظل في دائرتها المحدودة لغة تعامل مع هذه الفئات وقضاء مصالح فقط، لا يحتفل بها ولا يلتفت إليها"(٤)، فأي تعال أكبر من ذلك وما هي هذه اللغة المشؤومة التي لا تستعمل إلا من هؤلاء وفي التعامل مع هؤلاء!!

وينتصر لها أحمد رضا بشيء من الإنصاف حين يعرفها بأنها "اللغة التي نتخاطب بها في كل يوم عمّا يعرض لنا من شؤون حياتنا مهما اختلفت أقدارنا ومنازلنا، فهي لسان المتعلمين وغير المتعلمين، على اختلاف فئاتهم وحرفهم". (٥)

ولم يعرض لها أصحاب المعاجم المتقدمة بهذا الاسم، ولكنهم كانوا يتحدثون عن لغة العوام؛ ويعدونها مستوى ثانيا من اللغة يستخدم في التعبير عن الاحتياجات اليومية خارج التعليم والبحث العلمي، ولغة العوام لم تكن على مستوى واحد، بل كان لها أكثر من مستوى، ويظهر ذلك حين نتتبع الانتقائية التي استخدمها جامعو اللغة.

وإن من لغة العوام في العصور المتقدمة ما يقعد عليه ويحتج به، فلا يعد كل ما يصدر من العامة خطأ، ويخرج من ذمة العربية، ولذلك فقد رأينا علماء اللغة يتوجهون إلى الأعراب في البوادي وغيرها ليأخذوا ويسمعوا منهم، فهذا ابن جني في الخصائص يستدل بلغة العامة وما فيها من الاختلاف والتغير والتبدل على اتحاد اللغة

(١) مقاييس اللغة أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ٤/ ١٨

(٢) العين، الخليل بن أحمد، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٢ /٢٦٧

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت ٢/ ٤٣١

(٤) صيحة في سبيل العربية، محمود محمد الطناحي، أروقة للدراسات والنشر، ٢٠١٤م، ٣١٨-٣١٩.

(٥) رد العامي إلى الفصيح، أحمد رضا، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ٥

العربية رغم اختلافها في بعض الأمور اليسيرة: "قيل: هذا القدر من الخلاف على قلته ونزارته محتقر غير محتفل به ولا معيج عليه، وإنما هو في شيء من الفروع يسير، فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه"[١]

وقد ورد عمن يحتج للاستشهاد بالحديث أن اللغة أخذت عن الأعراب الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارهم التي فيها الفحش والفسق والخنى؛ فكيف لا تؤخذ اللغة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢]، فاللغة إنما أخذت عن الأعراب وعوام الناس الذين عاشوا في تلك الفترة، ولذلك فقد جاءتنا اللغة بكل تفاصيل المجتمع العربي آنذاك ناقلة لمكونات المجتمع الثقافية والاجتماعية والأسرية والعادات والتقاليد ومظاهر التدين والتمسك بالشرائع الإسلامية، وهذا دور اللغة في التعبير عن أغراض الناس فإن حفظت فستحفظ معها كل خصائص المتحدثين بها.

ولذلك كان علماء اللغة يؤكدون على أن اللغة التي جمعوها من أفواه الأعراب تدرج مع الأصول المتفق عليها ضمن مصادر الاحتجاج باتفاقها مع ما يمثل جوانب اللغة العربية الصحيحة، ونرى أسماء الأعراب تنتشر في كتب النحاة وأهل اللغة، وقد يشار إلى أنه أعرابي فقط؛ كما هو عند الخليل بن أحمد: "سَمِعتُ أعرابياً فصيحاً من أَهْلِ الصَّمَّانِ" [٣]، ويستدل سيبويه على مروياته بقوله:"وأنشدناه هكذا أعرابيٌّ من أفصح الناس" [٤].

وحقيقة الأمر التي يتفق عليها الباحثون من اللغويين والمؤرخين أن علماء العربية لم يقَعّدوا حتى جمعوا اللغات من أفواه الأعراب.

وبعد التقعيد اهتم العلماء بالمخالفات اللغوية للقواعد، والتي تصدر في الغالب عن العوام، فعملوا على جمعها وتصويبها وبيانها عبر مصنفاتهم التي بدأت منذ القرن الثاني الهجري واستمرت إلى يومنا هذا [٥]، ولكن الخطأ لم يكن خاصا بالعوام فقد صنف أيضا في لحن الخواص باعتبار اللحن صفة بشرية تقع عند ممارسة اللغة فيستوي فيها العام والخاص.[٦]

ولذلك فإن الدكتور محمد ناصر العبودي يطرح تساؤلا مشروعا يؤيده المنطق السليم والحس اللغوي القويم فيتساءل عن سبب معرفتنا بلغة العامة قبل أكثر من ١٠٠٠ سنة، ولكننا لا نعرف عنها شيئا قبل سبعمائة سنة

(١) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٤، ١ /٢٤٥

(٢) خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، ط٤ ١٤١٨ هـ، ١ / ١٢

(٣) العين، ١ / ١٥١

(٤) الكتاب، سيبويه، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٤٠٨ هـ، ٣ /٣٠٠

(٥) وبدأتْ المؤلفات في هذا المجال بكتاب الكسائي: لحن العامة

(٦) ومنه كتاب درة الغواص في أوهام الخواص للحريري

مع أن السبعمائة سنة أقرب إلى زماننا [١]؟!! وأضيف إليه ما بالنا لا نعرفها حق المعرفة قبل مائتي سنة ولا نعرف كثيرا منها قبل مئة سنة فقط؟!.

فاللغة العامية الموجودة اليوم تنحصر في تلك اللغة التي تخالف النظام اللغوي وتختص بمنطقة دون غيرها، فلا يحسنها ويتقنها إلا أهلها، وفي ذلك جمع بين مصطلحين مختلفين وهما: اللهجة المحلية واللغة العامية، وكثيرا ما يطلق الباحثون مصطلح اللهجة العامية، أو اللهجة المحلية تعبيرا عن عامية بلد بعينه، فهم بذلك يجمعون بين مصطلحين: اللهجة والعامية، وفي الحقيقة أن بينهما علاقة عموم وخصوص فاللهجة هي المستوى المتفرع من اللغة والمتصل بها [٢]، وأما العامية فتطلق على لغة العوام بما تشمله من لهجة ولحن، ولكنة وعُجْمَى.

فاللهجة من لَهَج بالأمر لهجاً: أولع به واعتاده، واللهَجة: طرف اللسان، وجرس الكلام، ويقال: فلان فصيح اللهجة، وهي لغته جُبل عليها، فاعتادها ونشأ عليها، واللهجة: اللسان[٣].

وقد اصطلح حديثا على أن اللهجة: "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائص، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي يسرت اتصال أفراد هذه البيئات بعضها ببعض"[٤].

كما عُرِّفت العامية حديثا بعدد من التعريفات منها:

- اللغة العامية في البلاد العربية: هي اللغة التي يتكلم بها الجمهور في أَي بلد عربي، ويقال لها أَيضًا الدارجة؛ وهي التي درج الناس أي تعودوا على الحديث بها، ومنها كلام دارج أي منتشر. [٥]
- تحريفات لألفاظ كانت من قبل عربية صحيحة، أو تشويه لمعاني تلك الألفاظ [٦].

ومن الباحثين من يسميها: اللهجة المحلية، أو اللهجة السوقية...ألخ

ونخلص من ذلك كله إلى أن للغة أكثر من مستوى، وهي: الفصحى، والفصيح، واللهجة، والعامية، وقد سميت العامية بأسماء عدة منها: المحلية، والدارجة، والسوقية، والمحكية، كما نلحظ أن العلماء الأوائل، والباحثين المحدثين لم يتفقوا على تعريف واحد لكل، ولذلك فإن هذا البحث سيعتمد مصطلح اللغة الدارجة؛ لأنه جمع بين

(١) مقدمة معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة، د محمد العبودي، مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٥هـ

(٢) أنماط الصراع بين اللغة العربية والعاميات المعاصرة، زين الدين موسى، مجلة الآداب، منتوري، الجزائر، ١٤٣١هـ،٢٣٢

(٣) لسان العرب ل هـ ج

(٤) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ١٦

(٥) معجم الغني، د ر ج

(٦) اللهجات العربية بين الفصحى والعامية، دأحمد فراج، مؤتمر اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٣هـ، ١٤٠

بيان انتشارها وشيوعها وبين عدم الانتقاص منها، فلفظ: العامية أو المحلية أو السوقية يشعر بنقصها، أو بتخصيصها بفئة معينة، أو بإصدار الحكم المسبق بخطئها.

وإذا تحدثنا عن الدارجة التي يعنى بها اللغة المخالفة لقواعد النحويين فيؤرخ بعض الدارسين لظهورها بدخول العجمى إلى اللغة العربية بعد انتشار الفتوح الإسلامية في أواخر القرن الثالث الهجري، وهي الفترة التي شهدت الاهتمام الأكبر بالتقعيد النحوي وضبط مفردات اللغة، ومن ذلك ما يراه يوهان فك من أن الحد الفاصل بين الفصحى والعامية اكتمل رسمه آنذاك. (١)

المطلب الثاني: اللغة الدارجة في اللغات الأخرى

إن اللغة العامية أو الدارجة هي تطور طبيعي في اللغات عموما؛ فالعامية تغلب اللغة التي نشأت منها فتصبح هي الفصحى في كثير من اللغات وتوضع لها القواعد ثم تنشأ منها لغة عامية هي الأخرى، وهكذا دواليك؛ كما هو الحال في اللغة اللاتينية التي خرجت منها اللهجات الفرنسية والإيطالية وغيرها ثم أصبحت لغات مستقلة (٢)، وهي الآن تتعامل مع عدد من اللغات العامية لها.

جاء في باب أوزان الشعر في مجلة الرسالة "فاللغة الفرنسية كما هو معلوم تطور للغة اللاتينية على نحو ما تطورت لغتنا العامية عن اللغة الفصحى"(٣).

ولكن للغة العربية خصوصيتها بارتباط الفصحى فيها بالقرآن الكريم فأصبح كل ماعداها عاميا، وإن كان هذا العامي نابع منها ومتطور عنها كما هو الحال في اللغات الأخرى، ومما يؤكد ذلك أن من يرى دراسة اللهجات العربية وعدم إغفالها يعتد في ذلك بالقراءات القرآنية ويرى أنها من أجدر المصادر بالدراسة؛ لأنه يجد فيها أصول اللهجات الدارجة اليوم، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

فالقراءات القرآنية إنما وجدت للتسهيل على عموم الناس وتقريب المتلو من القرآن من لهجاتهم الدارجة آنذاك (٤)، ثم تلاشت في اللهجات شيئا فشيئا.

وقد أدرك مجلس مجمع اللغة العربية بالقاهرة أهمية اللهجات الدارجة؛ فبعد قراره بإنشاء لجنة اللهجات العربية، قرر أن تدرس اللهجات العربية، وأن يكون مصدر الدراسة للهجات هو القراءات القرآنية، وقدم الدكتور علي عبد الواحد وافي وغيره دراسات عديدة في هذا الموضوع، وصنفت فيه المصنفات وكتبت فيه الأبحاث والمؤلفات، ومن بين المؤلفات والبحوث الفريدة في هذا الموضوع والتي أولاها مجمع اللغة العربية بالقاهرة عنايته

(١) العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة: رمضان عبدالتواب، الخانجي، مصر،١٩٨٠م، ١٤٩

(٢) مجلة الرسالة، كيف يكتب التاريخ، د حسن عثمان، ١٠ / ٤٢٤

(٣) مجلة الرسالة، الشعر الأوربي، د محمد مندور، ٢٠ / ٥٤١

(٤) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣٢.
النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، ١ / ٢٢

واهتمامه: الأطلس اللغوي للدكتور خليل عساكر، واللهجة العربية العاميّة لعيسى إسكندر المعلوف، و القراءات القرآنيَّة واللهجات للدكتور علي عبد الواحد وافي، ولهجات عربيّة شماليّة قبل الإسلام، للأستاذ ليتمان وغيرها كثير ليس المقام لسردها.

وعلى ذلك التوجه في مجمع اللغة العربية فإن اللهجات التي خُدِمت هي اللهجات التي قدّر لها أن ترد في قراءة ما؛ إذ أن تدريس اللهجات كان من خلال القراءات القرآنية كما سبق بيانه قريبا، أو أن تكون واردة ضمن شروط الاحتجاج التي حددت بزمان ومكان معين لا يمكن تجاوزه، وإن من الباحثين اليوم من يرى أن ذلك التصرف أضاع علينا كثيرا من جوانب اللغة غير أنه يلتمس لهم العذر بأن السبب الديني كان هو المحرك لجمع مفردات اللغة ابتداء فكان من المناسب أن يعتمدوا تلك الاشتراطات(١)، وهو في التبرير بالعامل الديني يتبع طه حسين في كتابه الحياة الأدبية في جزيرة العرب؛ الذي توصل إلى أن إهمال الأدب الشعبي واللغة الدارجة إنما كان لأنها لم تكن بلغة القرآن الكريم(٢)؛ ولكن هذا ليس مسلما به لأن اللهجات آنذاك هي التي قرئ بها؛ فلم تكن لتهمل وهم أولى بجمعها والاهتمام بها؛ كما أن الدارجة آنذاك كانت لغة احتجاج وهي محط اهتمام العلماء وعنايتهم، ولكن الجمع كان وفق القدرات والأولويات المتاحة.

فإذا كانت تلك حال علمائنا الأوائل؛ فما قولنا اليوم عن اللغة الدارجة مع ما نعلمه من اختلاف شديد حول ما وضعه العلماء من شروط للاحتجاج زمانا ومكانا عند أهل اللغة فضلا عن غيرهم!!

إن من علماء اللغة من يرى أن تحديد الزمان والمكان للاحتجاج بفصاحة أو صحة نسبة إلى العربية مرهون بأن تكون اللغة توقيفا وليست من الاصطلاح أو المحاكاة في شيء، وأما إن كانت اللغة اصطلاحا فلنا أن نحتج باللغة في كل زمان وفي كل مكان طالما أنها تدخل في دائرة العربية، يقول ابن فارس: "الدليل عَلَى صِحَّة مَا نذهب إِلَيهِ إجماعُ العلماء على احتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فِيهِ أَو يتفقون عَلَيهِ، ثُمَّ احتجاجهم بأشعارهم، ولو كَانَتْ اللغة مُواضَعَةً واصطلاحاً لَم يكن أولئك فِي الاحتجاج بهم بأولى منا فِي الاحتجاج لَو اصطلحنا عَلَى لغة اليوم ولا فرق"(٣)، وهو بذلك يفتح الباب على مصراعيه ليس لجمع مفردات اللغة الدارجة التي اصطلح عليها المتحدثون بها، بل ويرى أن يستشهد بما نجمعه من اللغة في أي زمان أو مكان وأن لنا أن نضع عليه القواعد اللغوية.

ويجب أن نوضح أن ابن فارس حينما أورد هذا الرأي فإنما كان يسوقه في باب القول على لغة العرب: أتوقيف، أم اصطلاح؟ في سياق الاستشهاد على أن اللغة توقيفية؛ حيث استهل عرض هذه القضية بقوله: "أقول: إن لغة العرب توقيف" ثم حشد لذلك كل الشواهد التي تدل على التوقيف، ثم قال ما سبق عن صحة

(١) الاستدراك على المعاجم العربية، محمد حسن جبل، دار الفكر العربي ١٩٩٨، ١٢ -١٥

(٢) الحياة الأدبية في جزيرة العرب، طه حسين، دمشق، مكتب النشر العربي، ط١، ٢٥

(٣) الصاحبي، ابن فارس، محمد بيضون ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ١٤

الاحتجاج باللغة في كل أوان إن كانت اللغة مواضعة ليُنَفِّر من هذا الرأي ويبين فساده [١]، ومع كل هذا فإن من جاء بعد ابن فارس يمكنه أن يعتمد على قوله هذا لجمع مفردات اللغة الدارجة ليس للتقعيد لها، ولكن لرأب الصدع بينها وبين الفصحى ومعرفة ما هو متفرع عنها ومتجذر إليها.

المطلب الثالث: مصادر دراسة اللغة الدارجة:

لم تنل اللغة الدارجة حظها من الدراسة والبحث، وعليه فإن الباحث متى ما أراد أن يتتبع ظاهرة ما في اللغة الدارجة فإنه لا يملك إلا الدارجة الشائعة في وقته الراهن؛ وربما لا تكون دارجة بالمعنى الصحيح فلربما غلبت عليها العجمى والألفاظ الدخيلة، أو ما يسمى باللغة البيضاء: وهي اللغة التي لا تعتمد قاعدة معينة ولا تعبر عن انتماء بعينه، ونستطيع أن نحدد جهة الدارسين عند البحث في اللغة الدارجة، من خلال مجموعة من المصادر تنتظم فيما يلي:

١. اللغة الدارجة الشائعة.
٢. القراءات القرآنية: ويعتمد عليها الباحثون في الدراسات المقارنة والدراسات التاريخية غالبا؛ ليبينوا ارتباط لهجة ما باللغة الفصحى؛ إذ أن القارئ أو الراوي الموثوق قرأ بما يتفق مع هذه اللهجة أو تلك.[٢]
٣. المدونات السابقة: وأعني بها جهود جمع مفردات اللغة الدارجة من قبل الباحثين المعاصرين، وسنأتي عليها بشيء من التفصيل.
٤. المعاجم اللهجية، والأطالس اللغوي كما هو عند الدكتور العساكر الذي أشير إليه سابقا[٣].
٥. الشعر الشعبي: وهو مصدر ثري للهجات واللغة الدارجة حاليا أو في أوقات سابقة، لا سيما قبل أن تدخل وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة؛ إذ إن كثيرا من الشعراء أضحى يتعمد أن يقول شعره خارج لهجته العامية ليجد شريحة أوسع من المستمعين أو المتابعين، ومن الجهود السابقة في جمع الشعر الشعبي: ديوان شعراء من الجزيرة العربية، لمحمد الهاجري، وديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد، لأبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، والشعر عند البدو، لشفيق الكمالي، وغيرها من المصنفات...

(١) الصاحبي ١٣ – ١٤

(٢) اللهجات العربية في التراث، د أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتب، ١٩٨٣م، ١/ ١٠٤ – ١٠٥

(٣) ص١٦

المبحث الثاني: أهمية جمع مفردات اللغة الدارجة

المطلب الأول: معنى الجمع.

جمع اللغة مصطلح قديم نشأ بنشأة الاهتمام باللغة العربية، وهو يطلق على الجهود التي بذلت لاستقراء اللغة وكتابتها، وسأورد نبذة عن تلك الجهود لأنها لم تكن تمحص -أحيانا- الفصيح من غيره، ولذا فهي ذات رابط قوي بهذا البحث، وقد كانت من حيث طريقة الجمع تنقسم إلى قسمين:

الطريقة الأولى: واعتمدت التصنيف التاريخي، وينقسم بحسب ذلك إلى ثلاث مراحل؛ أوردها باختصار فيما يلي:

المرحلة الأولى: جمعت فيها اللغة كيفما اتفق؛ عندما كان العلماء يذهبون بأحبارهم وأدواتهم إلى البوادي لمشافهة الأقحاح من الأعراب والسماع منهم وتدوين ما لديهم؛ كما ورد عن الكسائي أنه لما لقي الخليل في البصرة بهرته غزارة علمه، فسأله عن مصدره في معرفة كل هذا العلم الغزير في اللغة، فقال الخليل: "من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي حتى أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه"[(١)]، وروي أيضا أن أبا عمرو الشيباني ذهب إلى البادية ومعه دستيجان[(٢)] حبرًا فما خرج حتى أفناهما، يكتب ما سمعه عن العرب.

المرحلة الثانية: جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد.

وهو ما يسمى بمعاجم الموضوعات أو المعاجم المبوبة أو معاجم المعاني؛ فيجمع المؤلف ما يعبر به عن النخل، أو الكرم، أو الإبل، أو الخيل، أو أسماء الوحوش، أو غيرها، ككتاب غريب المصنف لأبي عبيد، والألفاظ لابن السكيت، والألفاظ الكتابية للهمذاني، ومبادئ اللغة للإسكافي، وفقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيدة...وغيرها.

المرحلة الثالثة: جمعت اللغة فيها على نمط خاص في الترتيب ليرجع إليها من أراد البحث عن معنى كلمة بغض النظر عن الموضوع الذي تنتمي إليه بطريقة معينة تكون نهجا في المصنف كاملا، وأول من ألف بهذه الطريقة هو الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين، ثم نشأت بعد ذلك مدرسة القافية ومدرسة صدور الكلمات، وعليها المعاجم إلى وقتنا المعاصر.

وإنما عرضت لذلك في هذا الجزء من المطلب؛ لأبين أن جمع اللغة في مراحله الأولى كان يركن إلى ما يأنف عنه كثير من الباحثين اليوم، وهو اللغة الدارجة أو لغة العامة، وهي اللغة التي وضع عليها العلماء قواعد اللغة العربية من نحو وصرف ولغة بشروطهم وقيودهم المختلفة من مدرسة إلى أخرى.

---

(١) تاريخ بغداد، البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: مصطفى عبد القادر ط ١، ١٤١٧هـ، ١١ /٤٠٣

(٢) جاء مادة دسج في لسان العرب: "والدستيج بكسر المثناة الفوقية آنية تحوّل باليد وتنقل فارسي معرب".

المطلب الثاني: أهمية جمع مفردات اللغة الدارجة:

إن كل ما يحتج به على أهمية اللهجات القديمة أو الحديثة لَيَرِدُ في سياق الإجابة عن السؤال عن أهمية جمع مفردات اللغات الدارجة في أي عصر من العصور، وإن ما يعتبر عاميا في عصر من العصور لهو مرجع هام لدارسة اللغة وشتى جوانب الحياة في ذلك العصر، فتنبثق أهمية الجمع من أهمية دراسة اللهجات ثم من أهمية دراسة اللغات عموما كأحد مكونات الثقافة الإنسانية، والتي لا تغيب عن ذهن دارس اللغة، ولأهمية ذلك جوانب عدة كما يلي:

الأهمية التاريخية: حيث إنها تحمل لنا كثيرًا من الأحداث والتفاصيل التاريخية التي لا يمكن أن تجدها إلا فيما نقل باللغة الدارجة في ذلك العصر، وعليه فإننا نجد عددا كبيرا من الدراسات التاريخية والاجتماعية حول الشواهد اللغوية والنحوية في كتب اللغة.

الأهمية اللغوية: وهذه التي نحن بصددها، وتتجلى أهمية اللغة الدارجة عند إرادة الاحتجاج اللغوي لقراءة ما وبيان صحتها، وعند البحث عن أصول الكلمات، وعند دراسة المفردات من حيث تطورها ومراحل تحورها وتغيرها، وتظهر عند البحث في طبيعة التغير اللغوي وارتباطه بغيره في اللغات الأخرى من أسرة واحدة أو من أسر مختلفة، وعند الحكم على الألفاظ من حيث عربيتها أو عجميتها، وعند إرادة البحث في شذوذ القواعد النحوية أو اضطرادها، وينطبق ذلك أيضا على القواعد الصرفية والصوتية.

الأهمية الاجتماعية: وتظهر في معرفة التأثير والتأثر بين المجتمعات والظواهر الاجتماعية التي سادت ثم بادت أو التي كتب لها البقاء فعبر عنها بلغة أهلها الدارجة، وتخدم دراسة اللغة الدارجة الدراسات الاجتماعية التي تبحث في سلوك الإنسان وتطوره، والتي تربط بين رفاهه أو فقره وبين لغته، أو تربط بين مكانته الوظيفية أو الاجتماعية وبين لغته، فلن تجد بدًا من اللجوء في ذلك كله وغيره إلى اللغة الدارجة.

المطلب الثالث: المحاولات والجهود السابقة في جمع مفردات اللغة الدارجة:

لابد أن نفرق بين ما يسمى الانتصار للعامية وإحلالها مكان العربية الفصحى، وبين ما نحن بصدده في هذا البحث فعند التتبع للتاريخ نجد عددا كبيرا من محاولات الانتصار للعامية من الفصحى أو إحلالها مكانها، وكان ابتداءه من المستشرقين أمثال: ولهلم سبيتا المستشرق الألماني: الذي ألف كتابا بعنوان: قواعد اللغة العربية العامية في مصر – ١٨٨٠م، ودلمور الإنجليزي مؤلف كتاب: لغة القاهرة في عام ١٩٠٢م، والمستشرق الألماني كارل فولرز: في كتابه اللهجة العربية الحديثة، والمستشرق الإنجليزي سلمون ولمور: صاحب كتاب العربية المحلية في مصر الذي أصدره في عام ١٩٠١م، وغيرهم كثير ممن دعا إلى العامية بكتبه أو مقالاته ولقد تابَعَ هؤلاء المستشرقين من العرب من نادى بذلك: كما فعل إسكندر معلوف؛ صاحب المقال الشهير بعنوان اللغة الفصحى

واللغة العامية [1]، والذي بالغ في طرحه حتى ادعى أن سبب تدهور حالة العرب وتفوق الغرب عليهم أنهم يتمسكون بالفصحى في كتاباتهم وتعليمهم، وأحمد لطفي السيد؛ وسلامة موسى، ولويس عوض وغيرهم من مصر ومن غيرها من الأقطار العربية.

وهي دعوات لن نتوقف عندها؛ لأن الهدف من هذه الدراسة هو خدمة اللغة العربية بجميع مستوياتها، وقد تكفل بالرد على تلك الدعوات أنصار اللغة العربية الذين لا يرضون عنها بديلا بالحجة والبرهان، فكفُّوا أولئك وكفَوا من جاء بعدهم عناء الرد والدفاع.

وعلى الصعيد الآخر نجد دعاة للاهتمام باللغة الدارجة، ولكن بما يخدم لغتنا العربية ويوثق عرى الاهتمام بها ورعايتها فهذا العلامة حمد الجاسر يرى ضرورة العمل على جمع مفردات اللغة عموما فصيحها وعاميها: ومرجع ذلك عنده إلى أن هذه اللغات ترجع إلى جذور اللغة العربية الفصحى وهي قوة للفصحى ودعامة لها، ويرى – رحمه الله – أن لهجات سكان الجزيرة العربية تتجذر بشكل أعمق في أصول اللغة العربية، وهو في هذا السياق يدعو إلى العناية بهذه اللهجات تقوية للغة الفصحى؛ لتتمكن من التغلب على اللهجات الأعجمية التي وفدت إلى الجزيرة العربية، والتي لا تمت بصلة للغة العربية الفصحى، بل ويدعو إلى البحث عن الكلمات القريبة إلى الفصحى في هذه اللهجات وتعميمها على وسائل الإعلام لتصل إلى المتلقي[2]، وهو بذلك يسعى لتعميم الفصحى لتكون أكثر قابلية لدى العامة، وليعلم العامة مكانة لغاتهم الدارجة من اللغة العربية الفصحى فتقربهم إليها أكثر وتكتسب رواجا لديهم بدلا عن الإحساس بالثقل والفرقة بينهم وبينها، وهو توجه محمود كان له استجابات عدة في أصقاع الجزيرة العربية.

وسوف نقصر حديثنا على ما يقتضيه البحث من تجارب ومحاولات لجمع مفردات اللغة الدارجة في الجزيرة العربية خدمة للفصحى ولمتحدثيها، وبهذا تضيق دائرة البحث إلى تجارب محصورة نوعا ما، وأوردُ بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر لنستنبط الفوائد الممكنة من نجاحها، ثم نقتصر في الحديث على ثلاث منها بمزيد من الدراسة والتحليل لنصل بإذن الله إلى الرأي الذي تطمئن إليه النفس في أهمية جمع مفردات اللغة الدارجة.

ويمكن تقسيم جهود جمع مفردات اللغة الدارجة في الجزيرة العربية إلى قسمين:

أولا: من عمل على جمع مفردات اللغة بشكل جزئي: وأقصد بها: تلك الجهود التي بُذلِت لجمع جزء من اللهجات العربية في الجزيرة العربية لدافع خاص، وتنقسم تلك الجهود بدورها إلى قسمين:

من انطلق في جمع مفردات اللغة من مبدأ قبلي؛ فيجمع مفردات اللغة في قبيلة كذا أو كذا لانتمائه لهذه القبيلة أو لملاحظته كثرة الغريب فيها، أو ولظنه أن هذه اللغة جزء من اللغة الفصحى، ومن تلك الجهود:

---

(١) مجلة الهلال ١٥ مارس ١٩٠٢م، وهوصاحب بحث اللغة العربية العامية كما سيأتي ص ٣٤

(٢) الصقل بين اللهجات العامية وبين اللغة الفصحى، حمد الجاسر، مجلة المنهل، مجلد: ٥٤ عدد: ٥٠٤، ١٤١٣هـ.

- الأدب الشفهي والطب الشعبي في منطقة الباحة.
- أصالة لهجة منطقة جازان إبراهيم عبده شامي.
- معجم الكلمات الشعبية في نجد (منطقة الوشم) عبدالرحمن عبدالعزيز المانع.
- معجم لبعض الكلمات في نجد عبدالرحمن عبدالعزيز المانع.
- فصيح العامي في شمالي نجد عبدالرحمن زيد السويداء.
- معجم الألفاظ المتداولة عند أهل المدينة المنورة عدنان درويش.
- لسان ظفار الحميري المعاصر محمد سالم المعشني.
- غريب لغة شمر (حائل وما حولها): هزاع بن عيد الشمري.
- الأمثال العامية في نجد: د محمد ناصر العبودي؛ الذي طبع بدارإحياء الكتب العربية في عام: ١٣٧٩هـ وحوى ألف مثل، ثم طبع بعد أن أضاف عليه ضعف العدد الأول من الأمثال بدار اليمامة في عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع في طبعة فاخرة بدار الثلوثية عام ١٤٣٨هـ.
- معجم شجر البساتين ونباتها في المأثورات الشعبية في القصيم.
- معجم غرائب الألفاظ النجدية ذوات الأصول الفصيحة.
- معجم غرائب الألفاظ النجدية ذوات الأصول الدخيلة.
- معجم لسان قحطان: د سليمان الدرسوني.
- من غريب الألفاظ المستعمل في قلب الجزيرة: عبدالعزيز محمد الفيصل.

ومنهم من جمع مفردات اللغة لمبدأ موضوعي؛ فيهتم بموضوع معين لا يتجاوزه، ومن ذلك:

- معجم الحيوان عند العامة: د محمد ناصر العبودي.
- معجم النخلة في المأثور الشعبي: د محمد ناصر العبودي.
- معجم المطر والسحاب في لغة العامة: د محمد ناصر العبودي.
- معجم الأنواء والفصول: د محمد ناصر العبودي.
- معجم الديانة والتدين في لغة العامة ومأثوراتها: د محمد ناصر العبودي.
- معجم ألفاظ الصيد والقنص في المأثور الشعبي: د محمد ناصر العبودي.
- معجم الأقارب والأصدقاء عند العامة: د محمد ناصر العبودي.
- معجم السفر والارتحال عند العامة: د محمد ناصر العبودي.
- معجم التجارة والمال والفقر والغنى: د محمد ناصر العبودي.

- معجم الملابس في المأثور الشعبي: د محمد ناصر العبودي.
- معجم ألفاظ الحرف والصنائع في المأثورات الشعبية: د محمد ناصر العبودي.
- معجم الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة (ثمانية مجلدات): د محمد ناصر العبودي.
- معجم وجه الأرض في المأثور الشعبي: وما يتعلق به من الجبال والآبار والجواء ونحوها في المأثورات الشعبية د محمد ناصر العبودي.
- معجم ألفاظ الحضارة في المأثور الشعبي: د محمد ناصر العبودي.
- معجم المرض والصحة في المأثور الشعبي: د محمد ناصر العبودي.
- معجم الطعام والشراب في المأثور الشعبي (ثلاثة مجلدات): د محمد ناصر العبودي.
- معجم أشجار البرية في المأثور الشعبي معجم الشجاعة والإقدام (مجلدان): د محمد ناصر العبودي.
- معجم المنازل والديار (مجلدان): د محمد ناصر العبودي.
- معجم أزواج في التراث الشعبي معجم الإبل في المأثور الشعبي.

ثانيًا: الجهود الموسوعية في جمع مفردات اللغة الدارجة أو معالجتها، وهي تنقسم بدورها إلى قسمين:

وأقصد بالموسوعية تلك الجهود التي تعمل على جمع عموم لغة الجزيرة؛ فلا ينصب اهتمامها على قبيلة بعينها ولا إلى موضوع أو معنى دون غيره، وتنقسم إلى قسمين:

الأول: من يجمع اللغة دون أن يعالج ما جمعه، وحسبه في ذلك أنه يوفر مادة لغوية كافية، ويفتح السبيل للباحثين للدراسة والتمحيص، ومن ذلك:

معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة: د محمد ناصر العبودي، وقد نص فيه على أنه يهدف من هذا الجمع إلى أن يترك مادة للباحثين من بعده لعرضها على معايير العربية ومفرداتها فيأخذوا ما صح منها واستقام ويتجنبوا ما دخل إليها من غيرها. (١)

كلمات قضت: للدكتور محمد ناصر العبودي، ومعجم اللهجات المحكية للدكتور سليمان الدرسوني ٢٠١٥م، ويعرض للهجات من داخل جزيرة العرب ومن خارجها، وقد خص كل لهجة في مكان معين بقسم خاص حتى عد اللهجات التي تناولها بثلاث وعشرين لهجة في الجزيرة وحدها.

ثانيًا: من يجمع مفردات اللغة وفق منهج علمي واضح؛ يعرض عليه كل كلمة يدونها وينسبها للقبيلة التي تحدثت بها ثم يبين ما طرأ عليها، ويفسر ذلك بشكل علمي، ومن ذلك:

(١) مقدمة معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة، د محمد العبودي، مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ

كتاب أصول فصيحة لظواهر لهجات الجزيرة العربية للأستاذ الدكتور: إبراهيم سليمان رشيد الشمسان.

وقد قسمه إلى قسمين: القسم الأول: تناول فيه الظواهر النحوية والصرفية الموجودة لدى قبائل الجزيرة ثم أصّلَها واستشهد لها من القرآن الكريم ومن الشعر العربي؛ حيث أورد سبع عشرة ظاهرة مثل: مطل كسرة تاء المخاطبة، وإتباع حركة آخر الكلمة لحركة أول الكلمة التي بعدها عند نجد، والإمالة عند سدير وغيرها من الظواهر.

القسم الثاني: وكان هذا القسم للحالات التركيبية واختار منها أربع حالات؛ كحالة لغة أكلوني البراغيث في لهجات الجزيرة، وتأخير كم الخبرية عن العامل فيها، ثم اختتم بتقريره أن الأصل في اللهجات أنها مستوى من مستويات اللغة عموما، ولم يكن من أهداف بحثه أن يقرر مدى التقارب بين اللهجات في الجزيرة العربية وبين اللغة الفصحى فهو معلوم بالضرورة، ولكن هدفه هو دفع التوهم بأن هذه الظواهر تحديدا هي انحراف عن الفصحى، بل هي الفصحى ذاتها.

ولعل أبرز من ألف في ذلك هو معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الذي ألف كتاب:

معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة أو: مافعلته القرون بالعربية في مهدها (١)

ويتكون من ٦٢٧٤ صفحة في ثلاثة عشر مجلدا، وقد تميز بالتتبع الدقيق للمفردات وربطها بشكل علمي بالمعجم العربي الفصيح بما لا يخل بقواعد اللغة، ولا يبخس حق اللغة الدارجة، وهو في كل ذلك يستشهد للمفردة ولصحتها من القرآن الكريم ومن الشعر الفصيح ومن الشعر الشعبي إن وجد، وقد تناول في مقدمة معجمه ما يوحي بمنهجه تحت عناوين: المراد بالعامي، والعامي الفصيح؛ ليوضح منهجه بأنه يستقصي كل ما درج على ألسنة العامة مما له أصل في الفصحى، فإن أثرت فيه اللهجة وألقت عليه بظلالها؛ فإنه يعمل على تأصيله وربطه باللفظ الفصيح، وقد يكون الربط بشيء من التكلف أحيانا؛ لأن اللفظ تغير –كما يرى –بأحد طريقين:

إما أن يكون تعرض للتطور اللغوي الذي يمكن أن يقع على أي مفردة في اللغة.

وإما أن يكون تأثر باللهجة التي فشا فيها فاتخذ من قالبها له قالبا ورداء، يقول في مقدمة معجمه: "ثم إنني رأيت أن بعضها قد اعتوره التحريف نتيجة للتطور اللغوي المحتوم، أو نتيجة لغلبة قالب أو قوالب لغة – بمعنى لهجة – أخرى، فاختلف قليلا عما كان عليه في القديم، لذلك أضفت إلى ذلك العنوان عنوانا آخر رديفة هو: أو (ما فعلته القرون بالعربية في مهدها)"، وهذه الإضافة هي تتمة عنوان معجمه معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، وهو بهذا يقسم الكتاب إلى قسمين: قسم يورد فيه الألفاظ التي يظهر بسهولة ووضوح ارتباطها

(١) فاز بكتابه هذا بجائزة كتاب العام التي يقدمها نادي الرياض الأدبي الثقافي في دورتها الثالثة ١٤٣١هـ (٢٠١٠م)

بالفصحى، وقسم يحتاج إلى إعمال أدواته اللغوية وتفعيل لطيف الصنعة والتحليل والتفسير حتى يتبين أصله وارتباطه بالفصحى.

فعلى سبيل المثال يقول في معنى كلمة "ثني": والثني من الضأن: ما سقطت ثنيتاه، وهما له بمثابة أسنان اللبن للطفل؛ حيث تنبت له ثنيتان جديدتان، ويكون ذلك عند بلوغه السنة من عمره، وقبل ذلك يكون جذعة، والأنثى:(ثنية) (ما سبقت جذعه تسبق ثنية)، فهو هنا يسوق مثلا من اللغة الدارجة لتوضيح المعنى الذي سيق له وهو المرحلة العمرية المعينة للضأن، ونلحظ حرص المؤلف على نقل المثل كما هو بتعمد كتابة "جذعه" دون نقطتين إشارة إلى نطقها بالهاء في اللفظ الدارج ثم قال:"يضرب لمن لم ينفع في مبتدأ أمره، ولا ينتظر منه النفع بعد ذلك، وأصله في الناقة التي تكون جذعة ثم تصبح ثنية والقعود وهو الذكر من صغار الإبل يكون ننا إذا سقطت ثنيتاه، ويكون ذلك إذا أتم خمس سنوات من عمره ودخل في الم والبكرة وهي الأنثى من الإبل تكون ثنية إذا صارت كذلك. وجمع الثني: (ثنيان)" ثم يستشهد بطرفة من الطرائف الدارجة على ألسنة الناس بلغتهم الدارجة فيقول: "ومن طرائفهم في هذا الأمر أن قوما من الأعراب وجدوا قعودا (ثنيا) لحمه طيب وهو سمين، فذبحوه وأخفوا لحمه، وكانت عندهم عجوز قد خرفت، فخافوا أن تتم عليهم فتخبر بذلك أصحاب القعود، وهو الفتي من الإبل، فأخذوا هبرة من لحمه وأدخلوا فيها عظم خروف ثني كان مرمية منذ مدة وقالوا لها: إنهم قد ذبحوا خروفا وهذا من لحمه. قالوا: وبعد فترة جاء صاحب القعود ينادي عليه، فنادته العجوز وقالت له: أبشر بقعودك، البارحة اهلي (عطوني) لحمة، العظم عظم خروف ثني والهبرة هبرة قعود (عرمرمي)، والله ما أدري هي من قعودك أو من قعود غيرك. فقال: هذه عجوز قد خرفت، وانطلت عليه الحيلة فتركهم". (١)

وقد حاز هذا المعجم جائزة وزارة الثقافة والإعلام للكتاب في دورتها الثالثة عام ١٤٣١هـ في المملكة العربية السعودية، وحق له ذلك غير أن بالكتاب الكثير من الحشو الذي يغني عنه الإشارة فحين يذكر اللفظة العامية فإنه يؤصلها ويربطها بالمعجم مع أنها لفظة معجمية ثابتة سُبِقَ إلى تأصيلها بقرون طويلة، ثم يحتج لها بشواهد من اللغة الدارجة لكنه يصوغها بلغة مختلطة بين الدارجة والفصحى، وكان بإمكانه أن يختزل كمًّا كبيرا من الكتاب دون أن يخل بالهدف الذي أنشئ من أجله، وهو ربط اللغة الدارجة بالفصحى وبيان التغير والتطور اللغوي الذي حدث على بعض المفردات.

ومع ذلك فإن الألفاظ التي ذكرها ليس فيها شيء خارج عن الفصحى أو عن المعاجم العربية، وهذا يقودنا إلى مشروع آخر عمل على استيفاء مافات المعاجم إدراجه، وهو المشروع التالي:

(١) معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة: ث ن ي

مشروع الفوائت القطعية والفوائت الظنية للأستاذ الدكتور عبدالرزاق بن فراج الصاعدي:

فتعد تجربة جمع الفوائت القطعية والفوائت الظنية من أبرز التجارب الحديثة في خدمة اللغة الدارجة وتأصيلها، وقد بدأت رحلة هذا العمل على يد الأستاذ الدكتور عبدالرزاق بن فراج الصاعدي؛ حيث رأى أن هناك عددا كبيرا من الكلمات المتداولة في قبائل الجزيرة العربية من نجد والحجاز والسراة وتهامة، والتي يسميها: قبائل المنبع؛ حيث يبني هذا المصطلح على حقيقتين ثابتتين:

الأولى: إن عربيةِ القرآنِ نبعت من جزيرةُ العرب، من وسطها انطلاقا من قريش وانتهاء بسواحلها على الخليج العربي وعلى امتداد ساحل البحر الأحمر

والثانية: إن الأفصح فيها جميعا قريش ونجد والحجاز والسراة وتهامة [١]، وهي القبائل التي أوصى بها حمد الجاسر كما سبق [٢]؛ ثم اختط الصاعدي له طريقا لجمعها وفق منهج بين وطريقة علمية قويمة.

والفوائت تنقسم عنده إلى قسمين:

فوائت قطعية: وهي التي يقطع بعدم وجودها في المعاجم وأنها فاتت جامعي اللغة قديما، لأنها ثابتة في مصادر وكتب قديمة؛ كدوواين الشعر أو كتب اللغة والنوادر، ولكن أصحاب المعاجم لم يدونوها خطأ أو سهوا أو أنها لم تصلهم.

وفوائت ظنية: وهي التي لم توجد في المعاجم ولا في المصادر القديمة، ولكنها موجودة في لهجاتنا المعاصرة ولا ينطبق عليها حكم الألفاظ المولدة؛ فهي في مكان وسط بين الفوائت القطعية وبين المولدة، ويمكننا بلطف الصنعة الصرفية أن نستخرج منها الصواب، كما إن الفوائت الظنية قد ترتقي إلى القطعية متى ماتوفر مصدر قديم يثبتها؛ إذ أن التحقيق للتراث ما يزال يخرج لنا الجديد في كل يوم مع وفرة التراث العربي الذي لم يحقق ولم يدرس جيدا؛ فتكون فرصة انتقاله بحسب ميزان الدكتور الصاعدي عالية جدا. ولم يكن يضم كل فائت يصل إليه إلى فوائته الظنية مباشرة دون تمحيص وتدقيق؛ بل إن له اشتراطات أساسية ومعايير لا بد أن تتحقق جميعها كما يلي:

أولا: المعيار اللفظي، ويطبقه على الكلمة من حيث أصواتها وصرفها، إذ لا بد أن توافق ما جاء في كلام العرب زمن الفصاحة، وتكون على قياسه.

ثانيا: المعيار الدّلالي بأن تكون الدلالة مناسبةً لحياةِ العربِ في زمن الفصاحة، فتكون الدلالة مما ألف حياتِهم آنذاك.

---

(١) مقالة لهجات بلاد المنبع، أ.د عبدالرزاق الصاعدي، صحيفة الجزيرة،١٥ ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ

(٢) سبق ص ٢٢

ثالثا: المعيار الجغرافي، ومدار هذا المعيار على سعة انتشار المفردة وانحسارها فلا شك أن الكلمة كلما كانت أوسع انتشارا وكانت معروفة لدى عدد أكبر من القبائل فإن ذلك يكون مرجحا لها لتكون من الفوائت الظنية.

وبذلك فالمفردات عموما عند الصاعدي تنقسم إلى أربعة أقسام تتدرج كما يلي:

المعجمي، الفائت القطعي، الفائت الظني، المولد.

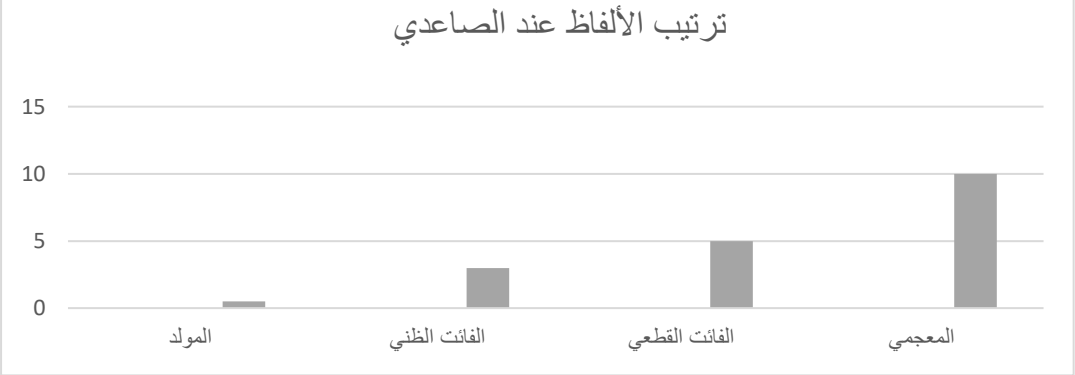

(رسم توضيحي لأنواع المفردات العربية عند الصاعدي)

ثم يصنف الصاعدي الفوائت القطعية إلى ثلاثة أنواع:

١. ماكان في الجذور وهو نادر جدا: كجذر (خمدع) إذ لم يرد في المعاجم العربية، ولكن ورد في نوادر أبي علي الهجري إذ يقول: "الخمادعي ضرب من جيد الرطب إلى الخضرة، رقيق صَقِرٌ يكون بيديك وفَدَك وتلك الأعراض".

٢. ألفاظ أو مشتقات من جذر مستعمل، ويدخل فيه كل ما خلت منه المعاجم من المشتقات السماعية، لأن واضعي المعاجم لا يذكرون المشتقات القياسية جميعها لكل جذر من باب التخفيف، ولأنها معلومة بالضرورة.

٣. دلالات للفظ مستعمل لم ترد عنه في المعاجم.

ويقسمها إلى ثلاثة أنواع كأقسام الفوائت القطعية غير أن الجذور الفائتة ظنيا قليلة وليست نادرة كالجذور الفائتة قطعيا.

وكل فائت ظني عنده هو متردد بين الفائت والمولد الصحيح الذي بني على أوزان العرب ووافق صيغ كلامهم، ومن هنا فإن الدكتور الصاعدي يرى بأن إهمال هذا الفائت هو نكوص عن واجب العلم والعلماء وإهمال للغة العربية وتضييع لمفرداتها.

وهذا كله في الفوائت الظنية، وأما القطعية فلابد من توافر نص يثبت ورود اللفظة في لغة قديمة ثم نبا عنها توثيق العلماء في معاجمهم لسبب أو آخر كما أسلفنا.

ونبّه الصاعدي إلى أنّ القطعَ أو الجزمَ بالفوائت أمرٌ لا سبيلَ إليه ما لم نجدْ شاهداً قديماً، ولكنَّ هذه المقاييس الثلاثة هي للتقريب، أو للترجيحِ، فحينَ نقول إن هذه الكلمةَ من الفوائتِ الظنية، يعني هذا القول غلبة الظنّ بأنها من الفوائت؛ لتعذّر القطعِ بالفائت بغيرِ شاهد. واجتماع هذه المعايير الثلاثة في كلمة أو دلالةٍ لهجيةٍ حريّ بأن يقربها من درجة اليقين حين يُحكمُ بأنها من الفوائت، دونَ الجزمِ المطلقِ بذلك؛ لتعذّرِ القطعِ بالفائتِ دونَ شاهدٍ أو نصٍّ قديم، بخلافِ الفوائتِ القطعية، فهي مرصودةٌ في مصدرٍ قديمٍ موثوق، كدواوينِ الشعرِ وكتبِ الأدبِ واللغة والنوادر ومصادر التراثِ الموثوقِ بها.

وهذه التجربة لجمع فوائت المعجم بالقطع أو الظن هي من فرائد العمل المعجمي لا سيما أن الصاعدي طوع لعمله جهود التقنية وآلياتها، فهو يبحث عن المفردة محل الخلاف ثم يراجع معاجم اللغة حتى إذا تيقن من أن المعاجم أغفلت هذه المفردة فإنه يرفعها على حساب خاص في برنامج التواصل المشهور (تويتر) تحت مسمى: مجمع اللغة الافتراضي، ويعلنها مفردة جديدة تحت الدراسة والبحث ليتلقى تعليقات المهتمين وطلاب العلم من قبائل (المنبع) الذين يستعملون هذه المفردة، وكل ذلك على مرأى من مئات الآلاف من المتابعين والمشاهدين؛ مما يضمن نسبة صحة وسلامة عالية.

والصاعدي يتمسك بموقفه في التفريق بين الفائت الظني والفائت القطعي إلا أن يجد دليلا على أنها فائت قطعي بإيجادها في أحد كتب التراث التي لم تحقق بعد أو في غيرها من المصادر.

وقد جمع إلى وقت إعداد هذه الدراسة: أكثر من ١٠٠٠ فائت قطعي، وأكثر من ٤٠٠٠ فائت ظني، وحسبه من هذا المشروع الضخم أنه وضع اللبنة الأولى لمعجم حديث يقدم للأجيال القادمة ويثبت شيئا مما كان في هذه الفترة؛ فلعل من بعدنا لا تتوافر لهم الأدوات ولا الوسائل المتاحة الآن، أو لعلهم يملكون الأدوات ولكن بعد فوات الأوان، ولو هيأ الله للمعجم العربي من يقدم مثل هذه الجهود في الحقب الماضية لما بقي من اللغة بين ظهرانيهم؛ لخلدوا لنا معجما واسعا وثروة هائلة من المفردات وكما كبيرا من الروابط والوشائج بين اللغة الدارجة وبين اللغة الفصحى، ولما كان على الصاعدي ومن نهج نهجه إلا أن يسلكوا سبل من سلف في جمع البقية الباقية -إن وجدت – من الكلمات ذات الصلة باللغة الفصحى.

وعلى هذه الجهود ملاحظ يسيرة من وجهة نظر الباحث:

١. مشروع بهذه الضخامة يحتاج إلى عمل مؤسسي ذي خطط واضحة وخطوات بينة، ولعل قائل يقول: إنه تحت مظلة مجمع اللغة العربية الافتراضي، فأقول وإن يكن إلا أنه قائم برمته على عاتق شخص واحد

تقريبا، وأنى له أن يؤدي هذا الدور كله بجهد فردي دون دعم من الجهات التي تهتم بهذا المشروع ويفترض بها احتواؤه ودعمه.

٢. بعض المداخلات على حسابات هذا المشروع من مشاركين غير متخصصين وغير مدركين لحقيقة ما يشاركون فيه، وبالتالي فقد لا يحملون الأمر على محمل الجدية التي يتطلبها.

٣. العمل موسوعي من الناحية اللغوية، وهو يفتح الطريق أمام الباحثين ومشاريع الرسائل العلمية لاستكمال الجهود؛ لاسيما وأنه لايستقرئ النصوص الدارجة جميعا التي ترد فيها المفردة بعد إثباتها وربطها بالمعجم قطعيا أو افتراضيا، وهنا يأتي دور الباحثين ليأتوا على جميع النصوص في اللغة الدارجة التي أوردت تلك المفردة شعرا ونثرا، وهذا التوسع هو باب واسع يشرع أمام الباحثين وأمام مشاريع الرسائل العلمية، ولكني أرى قلة الطارقين لهذا الباب.

٤. أنها تعتد بمشاركات على منصات غير متخصصة؛ مما قد يكون بابا للطعن في هذه الجهود مستقبلا.

٥. قلة الدراسات والأبحاث العلمية حول هذا المشروع، وأجد فيه مادة خصبة لدراسات الماجستير والدكتوراة والأبحاث العلمية.

٦. التعاطي مع النقد غير الهادف أحيانا، مما يعطل المشروع ويضعف عزائم القائمين عليه.

ولا أدعي بأن ماذكرت يقدح في هذا الجهد، ولكني أعتقد أن تلافي هذه الملاحظ يسير على من أسس لمشروع ضخم كهذا كما أجزم بأن ذلك سيكون مفيدا بإذن الله إلى حد كبير للمشروع ذاته وللمستفيدين منه في المستقبل.

المبحث الثالث: موقف من يرفض جمع اللغة الدارجة وتوثيقها.

والمقصود بهذا الموقف هو: من يمنع جمع اللغة الدارجة أو كتباتها وتوثيقها، أو إحاطتها بأي نوع من الدراسة والبحث العلمي.

وقد حاول الكثير ممن تبنى هذا الموقف أن يلصقوا رأيهم برأي الوقوف ضد الدعوة إلى العامية، وشتان بين الصنفين؛ لأن محاربة الكتابة باللغة الدارجة أو استخدامها في المعاملات الرسمية، أو في التعليم والمناهج الدراسية، أو إحلالها مكان الفصحى في الصحافة والنشر هي محاربة تعتمد على مواقف نبيلة تجاه اللغة العربية وتراثها الإنساني، ولا تحتاج إلى إيضاح ولا إلى تبرير، وسنأتي على هذا كله بإذن الله.

المطلب الأول: تاريخه:

إن الموقف الذي يتخذه بعض دارسي اللغة من اللغة الدارجة اليوم ليس جديدا بل هو قديم ومتأصل في الثقافة العربية منذ أن انطلق الجمع في مراحله الأولى، فاللغة العربية إبّان العصر الجاهلي لم تكن بحاجة إلى جمعها

في ذلك الموقع المحدود بجغرافيته وثقافته لسبب علمي أو للبحث عن إرث ثقافي، وكانت الثقافة العربية تحتاج إلى عدد من الأولويات قبل أن تفكر في جمع مفردات اللغة، ولكن الحاجة لجمع اللغة ظهرت عندما بدأت الحاجة لفهم مفردات القرآن الكريم وللتقعيد للغة العربية حفاظا على القرآن الكريم من اللحن والخطأ، وهنالك انطلق علماء اللغة يجمعون اللغة العربية الفصيحة من البوادي؛ من أفواه الأعراب الأقحاح الذين لم يختلطوا بالحواضر، وموقفهم في ذلك مبرر لأن هدفهم هو جمع اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم قبل أن تُفْقَد بفقد أهلها، وبتقادم الزمن أو بالاختلاط بالحواضر حفاظا على لغة القرآن الكريم؛ ومع وجود هدف ديني محدد وضعف الأدوات آنذاك فقد رأى علماء اللغة أن الجمع من قبائل بعينها ومن أزمنة محددة هي الوسيلة المثلى لحفظ اللغة خالية من الشوائب، ثم جاء من بعدهم ليعملوا في جمع اللغة على النسق ذاته دون تغيير، وكلما ابتعدوا عن البوادي أو عن عصر صدر الإسلام تضيق الدائرة مكانا وزمانا حتى أغلقت الدائرة الزمانية بتحديد عصور الاحتجاج بالشاعر ابن هرمة الذي توفي سنة ١٧٦ هـ، وحتى تم تحديد القبائل التي يؤخذ منها بقيس وتميم وأسد، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، حيث أُخِذ عن قيس وتميم وأسد أكثر اللغة والغريب والإعراب والتصريف، وأخذ عن هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين شيء قليل(١)، بل وأوجد علماء اللغة آنذاك قائمة بالقبائل التي لا يأخذون اللغة عنها ولا تجمع اللغة منهم وبينوا السبب في ذلك؛ لتكون كما يلي:

لخم وجذام وقضاعة وغسان وإياد وتَغْلِب والنمر وبكر وعبد القيس وأزد عمان وأهل اليمن وبنو حنيفة وسكان اليمامة، وثقيف وسكان الطائف وحاضرة الحجاز؛ فلخم وجذام؛ لأنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، وأما قضاعة وغسان وإياد؛ فلأنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، ولأن أكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية، وتَغْلِب والنمر؛ لأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، وبكر؛ لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، وعبد القيس؛ لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والحبشة، وأزد عمان؛ لأنهم مخالطين للهند والفُرس، وأهل اليمن أصلًا؛ لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم، وبنو حنيفة وسكان اليمامة، وثقيف وسكان الطائف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، وحاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم.

ويلحظ من القائمة السابقة للمنع أن السبب الرئيس لذلك هو المخالطة لغير العرب؛ فلا يأخذون اللغة إلا من العمق العربي الذي لم يخالط غيره من الأجناس، وهو الأحرى بأن يكون سليما في لغته لم يتأثر بالدخيل ولا بالأعجمي، وكلما أوغلت اللغة في البداوة كانت الأجدر بالأخذ منها ولذلك قال الرياشي: "إنما أخذنا اللغة عن

(١) الاقتراح ٩٠-٩١، والمزهر ١/ ٢١١- ٢١٢

حرشة الضباب، وأكَلة اليرابيع"[١]، ويكني بذلك عن العرب الأقحاح الذين لم تتغير عاداتهم الغذائية وأطعمتهم فضلا عن لغتهم وألسنتهم.

وقد اتخذ هذا الموقف علماء اللغة منذ بداية جمع اللغة يقول الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء: "جلست إليه ثماني حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي، وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحدا: ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نطع " وهو بذلك يؤصل لمنهج علمي يقوم على الاعتماد على الأزمنة السالفة وعدم الاعتداد بما هو معاصر، ويتبعه في ذلك علماء كثر في عصره ومن بعدهم [٢]، فهذا الأصمعي الذي يروي الخبر يتردد في تفضيل شعر بشار فيقول: "بشار خاتمة الشعراء، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم"[٣]، ثم يتخذ قراره بعدم رواية أشعاره لأن الشرط الأهم لم يتحقق فيه وهو تقدم أيامه، ويروي المنع في الأخذ بأشعار الإسلاميين عن عبدالله بن إسحاق (١١٧هـ)، والحسَن البصري (١١٠هـ)، وعبدالله بن شبرمة (١٤٤هـ)، بل إن السيوطي ينقل الإجماع عن أهل اللغة على عدم الاستشهاد بأشعار المحدثين المولدين في اللغة العربية [٤]، وحقيقة الأمر أنه لم يكن بالإجماع، بل لم يكن الموقف حاسما لدى العالم نفسه فلا تخلو هذه القاعدة من الاستثناءات فنجد أبا عمر بن العلاء يعد جريرا من المولدين، ثم يستشهد الخليل بن أحمد بشعره حيث يقول في مادة (عقّ):

وقال جرير:

فهيهات هيهات العقيق وأهله وهيهات خلّ بالعقيق نواصله[٥]

أي بعد [٦]، ونجد الأزهري في التهذيب يستشهد بالأخطل (ت٩٠هـ)، والفرزدق (ت١١٠هـ) وهما من طبقة جرير.[٧]

وفي معجم جمهرة اللغة نجد حشدا من الأدلة على أن أهل اللغة لم يلتزموا بوثيقة الفارابي، فقد استشهد صاحبه بأبيات لشعراء من قضاعة ومن غسان ومن إياد ومن تغلب في مواضع كثيرة، ومن نمر ومن بكر في مواطن متعددة، ومن أزد عمان، ومن ثقيف، ومن بني حنيفة [٨]، وعليه فإن أهل اللغة لم يلتزموا بميثاق الفارابي في

(١) أخبار النحويين البصريين، السيرافي، تحقيق طه الزيني، ومحمد خفاجي، مطبعة: مصطفى الحلبي،١٣٧٣ هـ، ٦٩

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين، دار الجيل ط ٥، ١٤٠١هـ، ٩١/١

(٣) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية – القاهرة،١٣٥/٣

(٤) الاقتراح ٥٤

(٥) ديوان جرير، دار بيروت، ١٤٠٦هـ، ٣٨٥ وهو عنده: فأيهاتَ أيهاتَ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِ... وأيهاتَ وَصْلٌ بالعَقِيقِ نُوَاصِلُهْ، وكذلك في شرح محمد إسماعيل الصاوي على الديوان، مطبعة الصاوي: ٤٩٧

(٦) العين مادة عقق

(٧) تهذيب اللغة مادة عقق

(٨) القبائل العربية التي خالفت نص وثيقة الفارابي، د. أحمد بني عطا، الأزهر الزقازيق، عدد١٤٣٦،٣٥ هـ، ٩٩٣ وما بعدها

التحديد المكاني، كما أنهم أيضا لم يلتزموا بالتحديد الزماني؛ فقد بدأوا بتحديد الزمن بالعصر الجاهلي فقط، ثم امتد إلى وفاة ابن هرمة سنة ١٦٧، ثم امتد إلى نهاية القرن الثاني، ثم إلى نهاية القرن الرابع، ولا يمكن للباحث أن يغض النظر عن أن المعاصرة حجاب، وأن عالم اللغة ينظر في كل زمن على أن المتحدث مهما علت مرتبته فإنه متهم بالضعف، ولابد أن نلحظ أن تغير زمن الاحتجاج وضوابطه من فترة لأخرى هو الدليل القاطع على أن هذه المعايير لا تحتكم إلى دليل علمي قاطع بل هي عدد من الآراء انطلقت من مبدأ نزيه هو المحافظة على القرآن الكريم، أو من مبدأ عصبي ينطلق عن قوس واحدة هي أن المعاصرة حجاب.

المطلب الثاني: هل اللغة الدارجة خطيرة على القرآن الكريم؟

يتبادر هذا السؤال إلى ذهن الباحث عندما يرى ذلك التخوف على لغة القرآن الكريم من اللغات الدارجة وفشوها فضلا عن جمعها وتوثيقها، وعليه فلابد من بيان الفرق الشاسع بين الدعوة إلى العامية الذي يهدف إلى هدم الفصحى وزلزلة مكانتها ثم إحلال العامية الدارجة مكانها لغة رسمية تستخدم في المحافل وفي التعليم وفي المخاطبات الرسمية؛ وبين دراسة العامية وألفاظها وتراكيبها خدمة للإنسان عموما وللغة العربية الفصحى وللقرآن الكريم والدين الإسلامي والتاريخ الإنساني.

فأما الدعوة إلى العامية فليست حديثة عهد؛ بل إنها ولدت مع دخول الثقافات الغربية إلى الدول العربية إبان الاستعمار، وقد قدم الاستعمار خطوات جادة وأعمالا حثيثة لخدمة هذا الهدف الذي يبدو في ظاهره هدفا علميا، ولكنه في حقيقة الأمر هدف سياسي صرف؛ حيث يقوم على تحقيق انقلاب ثقافي يهدم الصلة بين العرب وعروبتهم من خلال إبعادهم عن لغتهم الفصحى، وبذلك يبعدهم عن مصدر تشريعهم ومصدر وحدتهم، ويذهب كثير من الباحثين[١] إلى أن أهم تلك الجهود هي جهود الأوربيين عموما والفرنسيين والإنجليز بشكل خاص، ومن ذلك مدرسة نابولي للدروس الشرقية التي أسست بإيطاليا عام ١٧٢٧م، ومدرسة القنصل بالنمسا ١٧٤٧م، ومدرسة باريس للغات الشرقية في فرنسا ١٧٥٩م،وغيرها من المدارس التي عملت على اعتماد اللغات العامية بديلة للغة العربية الفصحى، وقد أثرت سلبا على توجه بعض المفكرين وبعض دارسي اللغات ليخرجوا بمؤلفات تنخر في كيان اللغة العربية؛ ككتاب: أحسن النخب في معرفة لسان العرب لمحمد عياد الطنطاوي،وكتاب الرسالة التامة في كلام العامة والمناهج في أحوال الكلام الدارج لميخائيل بن نقولا صباغ الذي كتبه نزولا عند طلب كثير من المستشرقين منه أن يؤلف كتابا يبين لهم فيه الفرق بين لغة العامة واللغة الفصحى؛ بحجة واهية هي: أنهم إذا سافروا إلى البلدان العربية لا يستفيدون من العربية الفصحى التي تعلموها؛ إذ أن الناس يتكلمون لغة مغايرة للفصحى!! وغيرها من المصنفات ويستوي في ذلك المستغربون والمستشرقون فكتاب قواعد العربية العامية في مصر

(١) دراسات في اللسانيات العربية والاجتماعية، محمد الزغول، الأردن: حمادة للطباعة، ٢٠٠٥م، ٢٦

للمهندس الإنجليزي: سبيتا هو نافذة لدعوة صاحب صحيفة المقتطف فارس نمر الذي دعا إلى تدريس العلوم باختلافها باللغة التي يتكلم بها الناس، فكان هذا الكتاب هو البداية الفعلية للصراع بين دعاة العامية والفصحى، إذ أن الكتاب اتسم عن غيره بالجمع بين التنظير والتطبيق، وهو مالم يسبق إليه من دعاة العامية.

وكتاب اللغة المحكية في مصر للقاضي الإنجليزي ويلمور، وكتاب المقتضب في عربية مصر للقاضيين: داول وفيولت، وقد نشر عيسى إسكندر المعلوف في بحثه: اللهجة العربية العامية أسماء مئتين واثنين وعشرين مؤلفا تتحدث عن العامية؛ منها أربعة وعشرون مؤلفا فقط تدعو إلى إحلال العامية مكان الفصحى[١]، وهذه النسبة تسهم في رسم الصورة الواضحة عن مدى المبالغة لدينا في التخوف من العامية ودراستها.

وفي الجملة فقد كانت الدعوة إلى العامية تتخذ أشكالا عدة أهمها:

١. مؤلفات عن أهمية وسهولة الدارجة وتعقيد الفصحى.
٢. مؤلفات عن وضع قواعد نحوية وصرفية للغات العامية.
٣. إصدار مجلات وصحف بالعامية: مجلة أبو نظارة التي أصدرها يعقوب بن صنوع.
٤. مقالات ودعوات متفرقة في الصحف والمجلات.
٥. دعوات متكررة لاعتماد اللغات الدارجة لغة للتعليم والمخاطبات الرسمية.
٦. استخدام اللغة الدارجة في المسرح، يقول موسى سلامة: "إن الكلمة الصحى ليست جوية "أي أنها لا تنقل إلينا جو الحديث لأننا ألفنا أن يكون الحديث باللغة العامية، ولكن ترجمته إلى اللغة الفصحى تصدمنا" إلى أن يقول: ولغتنا خرساء، (والخرس هنا أوضح وأخطر)"[٢].

وكانت هذه الدعوات تبرر دعواتها بعلل مختلفة أهمها:

- إن المستشرقين الذين درسوا العربية الفصحى لا يستطيعون التواصل مع أفراد المجتمع؛ حيث تختلف الفصحى عن العامية اختلافا كليا بحسب زعمهم.
- إن سبب تخلف الدول العربية في البحث والاكتشاف هو استخدامهم للغة مخالفة للغة الدارجة في مجتمعاتهم.
- إن استخدام الفصحى في التعليم خلق فجوة بين المتعلمين والمجتمع كما هو عند اسكندر معلوف وابنه عيسى.

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، مصر، الجزء الأول، ٣٥٠ – ٣٦٨.

(٢) البلاغة العصرية، سلامة موسى هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م، ٢٨

- حب اللهجة وأهلها مما يدفعهم لدعمها والمطالبة بها لغة رسمية؛ كما هو عند مارون غصن الذي تمنى أن يرى عملا عسكريا لفرض اللغة العامية التي هي لغة الآباء والأجداد في كتابه بالعامية "ما في متلو هالكتاب" ١٩٣٠م، وهو الذي يسميه مارون عبود داعي دعاة العامية.
- الاقتداء بالفرنسيين والإيطاليين والفرنسيين الذين استقلوا: كل مجتمع له لغته الخاصة.
- الوطنية كما هو عند سلامة موسى إذ يقول عن اللغة الفصحى "إنها تبعثر وطنيتنا وتجعلها شائعةً في القوميَّة العربية"(١).

ولن أبين ما في هذا الموقف من خلل ظاهر رآه أعداء العربية والإسلام قبل أن يراه أبناؤها وأنصارها، ولكني أتأمل في موقف من بالغ في صد الدعوة إلى العامية حتى أنكر أي اهتمام باللغة الدارجة وصنفه ضمن الدعوة إلى العامية، وهذا مما عمّت به البلوى للأسف الشديد، ومنطلقهم في ذلك أن اللغة العربية قد استوفت حقها من البحث والجمع والدراسة بانتهاء زمن الاحتجاج؛ فلم يعد لدى العامة شيء ليضيفوه على الفصحى وأن أي اهتمام بالعامية المستخدمة الآن هو دعم لحملة الدعوة إلى العامية التي تسعى إلى هدم الفصحى، ومن ثم القرآن الكريم والإسلام.

وهم بذلك يتغافلون عن طبيعة المرحلة التي جمعت اللغة فيها، وعن محدودية أدواتها، وقسوة الظروف التي حالت دون جمع كثير منها، ولقد أدرك أهل العلم في عصور الاحتجاج أن اللغة لم تصلهم كاملة وأنهم لم يعلموا كثيرا منها، قال ابن عباس: (ما كُنْتُ أَدْرِي ما فَاطِرُ السَّمُواتِ والأَرْضِ حَتَّى اخْتَصَمَ أَعْرَابِيَّانِ في بِئْرٍ، فَقَالَ أَحَدُهُما: أَنَا فَطَرْتُهَا: أي: ابْتَدَأْتُهَا) (٢) فابن عباس –رضي الله عنهما– لا يعلم معنى هذه الكلمة حتى سمعها في سياقها من الأعرابي، ولو لم يسمع الخصومة بينهما على البئر لمكث المعنى غائبا عنه، فكيف لمدع أن يقول: أن من جمع المعاجم قد علم كلام الأعراب جميعه ولم يفته شيء، ولقد أورد ابن سلام عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– مقولة تؤكد أن ما جمع ليس إلا نزر قليل من اللغة؛ إذ قال: «كان الشعر عِلْمَ القوم، ولم يكن لهم علمٌ أصح منه، فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم، ولَهِيَتْ عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب في الأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يَؤُولوا إِلَى ديوان مدوَّن، ولا كتاب مكتوب. وأَلْفَوا ذلك وقَدْ هلك من العرب مَنْ هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقلَّ ذلك، وذهب عنهم كثير»(٣)، وموطن الاستشهاد هنا قوله: "وذهب عنهم كثير"، وهذا الكثير لم يذهب بمعنى أنه انقرض من اللسان العربي ولكنه لم يصل إلى أولئك الذين دونوا اللغة وجمعوها، فلا يمكن أن ننكر أن ما خفي عنهم أو ضاع عن محابرهم

(١) السابق

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٩/ ١٥٣

(٣) طبقات فحول الشعراء، بن سلّام، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني – جدة، ١/ ٢٥

وأقلامهم في تلك الفترة قد يكون موجودا عن ألسنة العرب وتتوارثه الأجيال سواء كان مفردة، أو خاصية لغوية، أو لغة من لغات العرب، ونستطيع أن نتصور طبيعة مرحلة جمع اللغة من خلال عرض بعض الظروف والملابسات التي اكتنفتها، وأهمها:

- ضياع كثير من شعر العرب وأقوالهم وأمثالهم وحكمهم؛ بل وفقد أسماء لكثير من الشعراء والبلغاء والفصحاء فلم يصلنا من ذلك إلا النزر اليسير.
- اختلاط العرب بالعجم؛ حيث تنوعت الأعراق والأجناس التي دخلت في الإسلام، وبذلك فقد تبدلت اللغة وتغيرت وهذا مما دفع بالعلماء لجمعها، ووضع علومهم المختلفة كالنحو والصرف.
- قلة القائمين على جمع اللغة. فمع صعوبة الحياة وغياب الوعي والثقافة فقلما يوجد من يهتم لجمع اللغة وتدوينها.
- ضعف الأدوات. حيث اعتمدوا على الأدوات البدائية في الاستقراء والمشافهة فقط.
- محدودية المساحة الجغرافية التي أقرها الجامعون للغة.

وهذا كله يجعل الاستفهام مشروعا عن مدى جمع اللغة كاملة آنذاك، وعما فقد من اللغة مما يتصل بما جمع بطريقة أو بأخرى.

وعندما نعلم بوجود مسائل كثيرة عالقة بين النحويين في القرآن الكريم، ونعلم أن توجيه كثير من القراءات كان على أنها لغة من لغات العرب التي عُلِمت آنذاك؛ مع أن بعضها ليست ضمن دائرتي الاحتجاج لاالزمانية ولا المكانية؛ عند ذلك سنقر بأن تفسير الظواهر اللغوية والقضايا الإعرابية والصرفية في القراءات كامن في اللغة الدارجة، وأنها تنتظر من علماء اللغة أن يفتشوا عنها.

وعلى ما سبق فإن الخطر الحقيقي على القرآن الكريم وعلى القراءات القرآنية هو تجاهل اللغات الدارجة وليس العكس.

المطلب الثالث: أين وصل بنا هذا الموقف؟

إن جمع مفردات اللغة مرّ بثلاث مراحل؛ حيث جمعت اللغة في البداية جمعا دون تصنيف أو تبويب؛ بل يجمع العالِمُ كلّ ما يقع تحت يديه، ثم جُمعت اللغة وفق الكلمات المتقاربة، وهو ما يسمى بمعاجم الموضوعات، ثم وفي أواخر القرن الثاني الهجري بدأت المعاجم بالتبويب والتصنيف على مدارس الترتيب المعجمي المعروفة إلى اليوم كالعين ولسان العرب وغيرها.

وهي المعاجم التي توقف عندها أهل اللغة زعما من كثير منهم أن اللغة بلغت ذروتها وتم تمامها، وأن أي محاولة للإضافة هي محاولة للانتقاص، وأن أي زيادة ليست إلا نقصًا أو انتقاصًا.

وإنني لأزعم أن الوقوف عند المعاجم السالفة وعدم التقصي عن الألفاظ وربطها بأصولها عبر الأجيال قد أضر باللغة إضرارا بليغا، ومما يشهد لذلك: توجيه القراءات باللغات واللهجات؛ فكم من الشواهد في اللغات الدارجة هذه الأيام يفسر الأوجه اللغوية في القراءات، وكم من حرف دارج يظنه الكثيرون حرفا عاميا فإذا به يثبت عند التمحيص ويتضح أنه ورد في قراءة صحيحة أو شاذة، ومما يشهد على ذلك هذا الكم الكبير من الكلمات العامية التي ثبت عند تمحيصها أنها على أوزان العربية وطريقتها، ولا يستبعد أنها مما سقط من لغات العرب قبل أن تجمع اللغة.

وفي العصر الحديث ظهرت معاجم أخرى، وهي موطن الخلاف في هذا البحث ألا وهي معاجم الألفاظ العامية التي تنحدر بطريقة أو بأخرى من اللغة الفصحى.

لقد تقرر لدينا في هذا البحث أن العلماء لم يتوقفوا عند ما قطعوه على أنفسهم من حيث الزمان والمكان، وقد توالت الاستثناءات من حدود الجمع التي وضعوها وقيدوها في كتبهم، وحق لهم ذلك، فلا يمكن أن يحيط باللغة إلا نبي، قال الشافعي – رحمه الله –: "ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي"(١)، ولا يمكن أن نغلق على اللغة في زمان أو مكان معين، وهو ماثبت بالممارسة ممن وضعوا الحدود وألزموا أنفسهم بها، ثم من جاء من بعدهم ليلتزموا بما لم يلتزم به واضعوا القواعد والحدود الزمانية والمكانية، فأين وصل بنا هذا الموقف؟

إن الاعتماد على المعاجم السابقة فقط والتوقف عندها أفقدنا الكثير من تاريخنا ومقومات لغتنا العربية الفصحى، وأوقفنا عاجزين عن تفسير بعض المواطن والاختلاف حولها، ولعل حل هذا التشنج ضد اللغة الدارجة، والعمل على دراستها وسبر الغور بين صحيحها وما ينتمي إليه من أصول فصيحة لهو بنا أحرى وأجدر.

وإذا أردنا أن نلمس ذلك حقيقة فلنقرأ لموجهي القراءات من علماء اللغة، يقفون أمام قراءة عبدالله بن كثير المكي، في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾(٢)، فيستشهدون بقول أبي زيد: سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفا فيجعلون المثنى كالمقصور فيثبتون ألفا في جميع أحواله ويقدرون إعرابه بالحركات(٣)؛ ثم يستشهدون لذلك بأبيات من الشعر مما لا تنطبق عليه ضوابط الاحتجاج التي حددت سلفا،وفي قراءة ابن عامر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ﴾(٤)؛ حين يعللون للفصل بين المتضايفين بالمفعول به أنها لغة قديمة عفا رسمها، ولم يثبتوا أنهم سمعوها في القبائل التي حددت للاحتجاج، ولو

(١) الرسالة، الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ، ١/ ٤٢

(٢) سورة طه ٦٣

(٣) الحجة لأبي علي ٥ / ٢٣٠، الحجة لابن خالوية ٢٤٢، معاني القرآن، الفراء ٢ / ١٨٣، حجة القراءات، ابن زنجلة، ٤٥٤، البحر المحيط ٧/ ٤٣٩، الدر المصون ٨ / ٦٧

(٤) سورة الأنعام ١٣٧

وجدوا لها دليلا يدعمها لما تجرأ أحد على انتقادها وهي قراءة في كتاب الله، ويدعمها الشاهد والدليل؛ بل إن أبا الفتح ابن جني يبوب في الخصائص تحت عنوان: "باب ما يَرِد عن العربي مخالفاً للجمهور"، ويرى أن ذلك المخالف لا يُرد جملة؛ بل يمكن أن يكون وقع له من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها، وهو هنا يؤسس لفكرة الاستماع للأعراب والوثوق بما لديهم إن وثق في فصاحتهم وسلامة مقاصدهم، وكان ذلك في أواخر القرن الرابع الهجري، في حين أن الشاعر ابن هرمة آخر الحجج توفي عام ١٥٠هـ وقيل ١٧٠ هـ، وقيل عام ١٧٦ هـ . وعلى أبعد الأقوال فإن بينه وبين مقولة ابن جني مائة عام [(١)]، وخلاصة القول في ذلك: إن إثبات أن اللغة الفصحى لم تجمع كاملة لا يحتاج إلى دليل فدليله عقلي ونقلي بما ورد من شواهد تؤيد ذلك.

ثم إن الفصحاء لم ينتهوا في عصر من العصور، ولم يكن وجودهم حجرا على قرن من القرون، وإن جمع مفردات اللغة الذي يقتصر على قرن بذاته قد أفقدنا الكثير من المكاسب أهمها:

١. تاريخ تطور الظواهر اللغوية أو انحسارها.
٢. أثر العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية في اللغة.
٣. طرق الأداء، والعادات اللغوية المختلفة.
٤. توفير مادة علمية كافية للحراك اللغوي والدراسات البحثية.
٥. توظيف المنهج التاريخي توظيفا فاعلا في دراسة الجوانب اللغوية.
٦. تتبع دراسة ما يتعلق بالجانب اللغوي كالرسم الإملائي، والتأليف، والطباعة، وغيرها.
٧. تأليف الأطلس اللغوي التاريخي.

وهذا (برجشتراسر) في خاتمة أطلسه اللغوي يؤكد الحاجة إلى جمع مفردات اللغة الدارجة فيقول: "وهذا البحث يرمي إلى توضيح الصلات اللغوية الحاضرة بين سوريا وفلسطين"، وتوضيح هذه الصلات اللغوية؛ بتتبع الألفاظ والأساليب اللغوية المشتركة الدارجة بين سوريا وفلسطين، وهذا ما يمكّن الباحث من سبر غور الظاهرة محل الدراسة وتتبع تاريخها ونقاط التقائها أو ابتعادها، وأما بحث تطورها التاريخي، فإنه عمل قائم بذاته، ويحتاج في تنفيذه إلى النقل الواسع عن المراجع التاريخية.

ولبيان ذلك فعلينا أن نوضح كيفية بناء الأطلس[(٢)]؛ إذ أن الأطلس يبنى على شكل مقارنة للجملة في اللغة الأم مع اللغة الدارجة، ثم تطرح للباحثين لمن أراد أن يستفيد من هذا الجهد بالدراسة أو المقارنة أو البحث كل في مجاله.

---

(١) الخصائص ٣/ ٣٨٦: ٣٨٧

(٢) هذا على الطريقة الألمانية التي تعتمد على الاستقراء بخلاف الطريقة الفرنسية التي تعتمد على الانتخاب والتمثيل بتحديد نماذج لكل منطقة جغرافية.

ولكن المعضلة في الأطالس العربية أنها تورد اللغة الفصحى، ثم الدارجة الحالية، وهي التي بينها وبين الفصحى أكثر من ألف وأربعمائة سنة من التطور والنمو.

ولنا أن نتخيل كم فقدنا من مسميات وشواهد وثقافة منذ أن توقفنا عن توثيق اللغة وجمعها، وكل جيل يرى أن يتبع الجيل الذي قبله دون تمحيص ولا تحقيق.

يقول الدكتور عبدالصبور شاهين في حديثه عن جهود لجنة اللهجات العربية القديمة؛ عندما عزمت على جمع اللهجات العربية القديمة من المعاجم ومن كتب اللغة، لتقديمها للباحثين في صورة تقريبية لما كانت عليه:"وقد اختارت اللجنة مجموعة من كتب اللغة والقراءات والنحو والصرف لتستخرج منها اللهجات العربية القديمة بالطريقة السابقة، وقد وجدت اللجنة أن هذا العمل سوف يعطي للباحثين مادة لغوية وفيرة عن هذه اللهجات تكفي لتقديم صورة قريبة إلى الواقع اللغوي لهذه الظواهر التي وصفها القدماء"(١).

فالعلماء الذين تكونت منهم لجنة اللهجات العربية القديمة،أي: صفوة علماء هذا العصر من المهتمين بهذا الجانب، لم يجدوا وسيلة للوقوف على اللغات الدارجة آنذاك إلا بأن يبحثوا في عدد من المعاجم و،كتب اللغة القديمة؛ أملا في الوصول إلى صورة مقاربة للواقع اللغوي في تلك الأيام، التي توقف الجمع فيها من العامة بعد أن حددت عصور الاحتجاج وأماكنه، وسيأتي من بعدنا فلا يجدون صورة مقاربة أو مباعدة لواقعنا اللغوي الحالي؛ نظرا لتوقف الجمع، وضعف التأليف في لغتنا الدارجة؛ مما سيشكل انفصاما كاملا بيننا وبين تاريخ لغتنا وتاريخ علومنا بشكل عام.

ولقد نقل الأزهري في التهذيب نصا ثمينا عن الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى، يبين فيه أهمية تكامل المعلومات في اللغة وأخذ ما لدى المتحدثين بها جميعا؛ إذ أن اللغة لم يضع منها شيء ولكننا نرى الضياع منها إذا أردنا أن نأخذ اللغة من شخص واحد، واللغة لا يحيط بها إلا نبي، وهو يطلق المثل في ذلك ليصل إلى عدم ضياع شيئ من السنة النبوية ولكنه متفرق في علم كل من تعلم منها شيء: "لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظاً، وما نعلم أحدا يحيط بجميعها غير نبيّ، ولكنّها لا يذهب منها شيء على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها. والعلم بها عند العرب كالعلم بالسنن عند أهل الفقه،.. وكذا لسان العرب عند عامتها وخاصتها لا يذهب منه شيء عليها ". (٢)

(١) المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة، أ.د عبد الصبور شاهين، بحوث ودراسات في اللهجات العربية، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٥م، القاهرة ٢٠٥

(٢) الرسالة، ١/ ٤٢، تهذيب اللغة ٦/١

الخاتمة والتوصيات:

الحمد لله على تمام نعمته فقد تم هذا البحث وفق مباحثه التي ذكرت في مقدمته، وبعد دراسة ومناقشة ماوقفت عليه من مادة علمية، وفق المنهج الذي حددته في المقدمة، انتهيت إلى عدد من النتائج والتوصيات؛ كما يلي:

١. مصطلحات اللغة الدارجة واللغة العامية، واللغة المحكية، والمحلية، واللهجة، والسوقية [(١)]؛ جميعها أسماء لمعنى واحد.

٢. اللغة الدارجة هي رافد مهم ينبغي ألا يهمل بحجة الاكتفاء بما جمع في عصور الاحتجاج، وجمعها سيشكل ثراء وفائدة كبيرة للمعجم العربي وللبحث العلمي.

٣. الخطر الحقيقي على القرآن الكريم وعلى الدين يكمن في تجاهل اللغة الدارجة، والتنفير من جمعها.

٤. لا تتوقف الفائدة من جمع مفردات اللغة الدارجة على الفوائد اللغوية ونمو المعجم العربي، بل تتجاوز ذلك إلى العلوم الأخرى في مجالاتها المتنوعة.

٥. الامتناع عن جمع مفردات اللغة الدارجة في العصور السالفة له مبرره الديني الذي يعذر معه أصحابه آنذاك، ولكن من يتبنى هذا الرأي الآن فال عذر له.

٦. إن المحاولات السابقة التي قامت لجمع مفردات اللغة الدارجة غير كافية لمحدودية الزمان أو المكان أو محدوديتهما معا، ولمحدودية الموضوع أحيانا.

٧. هناك محاولات رائدة، ولكنها مازالت في بداياتها ويجب دعمها وتبنيها من الجهات العلمية والبحثية المؤسسية.

٨. إن جمع مفردات اللغة الدارجة اليوم ضرورة ملحة يفرضها الواجب العلمي وتؤيدها القدرات والأدوات المتاحة.

٩. يجب توجيه الباحثين وطلاب الدراسات العليا لإثراء اللغة الدارجة بالدراسة والبحث باعتبارها مستوى رئيس من مستويات لغتنا العربية.

المصادر والمراجع

١. أخبار النحويين البصريين، السيرافي، تحقيق: الزيني والخفاجي، مطبعة: مصطفى الحلبي،١٣٧٣ هـ

٢. الاستدراك على المعاجم العربية، محمد حسن جبل، دار الفكر العربي ١٩٩٨

٣. أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٨، ١٤١٩هـ-١٩٩٨

(١) إذا قصد بها لغة عامة الناس

٤. الأطلس اللغوي، خليل محمود عساكر، دمجلة المجمع العلمي (القاهرة)، ج٧، ١٩٤٩م.
٥. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر دار الفكر – بيروت، ط٢،
٦. الاقتراح، السيوطي، تحقيق د. محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩ هـ
٧. إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١
٨. أنماط الصراع بين اللغة العربية والعاميات المعاصرة، زين الدين بن موسى، مجلة الآداب، جامعة منتوري، الجزائر، العدد ١١
٩. البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ
١٠. البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى، هنداوي، ٢٠١١م
١١. بين الفصحى والعامية، محمد وحيدي، اللسان العربي، العدد ٧١، ٢٠١٣م
١٢. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ
١٣. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت
١٤. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م
١٥. الحياة الأدبية في جزيرة العرب، طه حسين، دمشق، مكتب النشر العربي، ط١
١٦. الحجة، ابن خالوية، تحقيق: د. عبد العال مكرم، جامعة الكويت، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ
١٧. الحجة، أبو علي الفارسيّ، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، دار المأمون، دمشق، ط٢، ١٤١٣ هـ
١٨. حجة القراءات، ابن زنجلة، تحقيق: سعيدالأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط١
١٩. خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ هـ
٢٠. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤
٢١. الدر المصون، السمين الحلبي، تحقيق: د أحمد الخراط، دار القلم، دمشق
٢٢. درة الغواص في أوهام الخواص، الحريري، عرفات مطرح، الكتب الثقافية الطبعة الأولى،١٩٩٨م
٢٣. ديوان جرير، دار بيروت، ١٤٠٦هـ
٢٤. رد العامي إلى الفصيح، أحمد رضا دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨١م
٢٥. الرسالة، الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ
٢٦. شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي ط١

٢٧. الصاحبي، ابن فارس، محمد بيضون، ط ١، ١٤١٨هـ
٢٨. الصقل بين اللهجات العامية وبين اللغة الفصحى، حمد الجاسر، مجلة المنهل، ٥٠٤ ١٤١٣هـ
٢٩. صيحة في سبيل العربية، محمود محمد الطناحي، أروقة للدراسات والنشر، ٢٠١٤م
٣٠. العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، رمضان عبدالتواب، الخانجي، مصر
٣١. العمدة، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ
٣٢. العين، الخليل بن أحمد، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال
٣٣. الفصحى والعامية، مسهام مادن (رسالة ماجستير)، كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، ٢٠١١م
٣٤. فوات الوفيات، محمد بن شاكر، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط١
٣٥. في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م
٣٦. القبائل العربية التي خالفت وثيقة الفارابي، أحمد إبراهيم، كلية اللغة العربية مصر٣٥/٢٠١٥م
٣٧. الكتاب، سيبويه، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٣٨. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ
٣٩. اللهجات العربية بين الفصحى والعامية، د. أحمد فراج، مؤتمر اللغة العربية ومواكبة العصر، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٣هـ
٤٠. لهجات عربيّة شماليّة قبل الإسلام، ليتمان، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة ج٣
٤١. اللهجة العامية المصرية، رمضان عبدالتواب، مجلة مجمع اللغة العربية، ج٢٨
٤٢. اللهجة العربية العاميّة، عيسى المعلوف، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج١
٤٣. ما تلحن فيه العامة، علي بن حمزة الكسائي، تحقيق د رمضان عبدالتواب، ط١، ١٤٠٣ هـ
٤٤. المحكم والمحيط الأعظم، بن سيده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ
٤٥. المزهر، السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ
٤٦. المصباح المنير، أحمد الحموي، المكتبة العلمية، بيروت
٤٧. المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة، أ.د عبد الصبور شاهين، بحوث ودراسات في اللهجات العربية، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٥م، القاهرة
٤٨. معاني القرآن، الفراء، تحقيق: أحمد النجاتي وآخرون، دار المصرية – مصر، ط١
٤٩. معجم الكلمات الدخيلة في لغتنا الدارجة، محمد العبودي، مكتبة الملك عبدالعزيز،١٤٢٥هـ
٥٠. مقاييس اللغة، بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٥١. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى